بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:١٠٢).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (النساء:١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (الأحزاب:٧٠-٧١).

ألا وإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم.

وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أما بعد : فهذه دراسة عن (غريب الحديث وعناية المسلمين به)، قد رأيت الحاجة إليها ماسة، لما شاهدته من عدم معرفة بعض أبنائي وإخواني كيفية التعامل مع هذا العلم، والاستفادة منه على وجهه، وقد قسمته إلى :

مدخل : في فصاحة الرسول ﷺ وبلاغته.

المقصد الأول : في مبادئ علم غريب الحديث

المقصد الثاني: في مظاهر عناية المسلمين بهذا العلم، في وضع القواعد والضوابط و في التصنيف فيه.

الخاتمة : في وصية لطالب العلم.

والله اسأل أن يتقبل جميع عملي خالصاً لوجهه الكريم، وداعياً إلى سنة نبيه المبعوث رحمة للعالمين ﷺ.

مدخل

فصاحة الرسول ﷺ وبلاغته

بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم وفصاحته، من الأمور المسلّمة التي لا يختلف فيها اثنان! والمتفقه في الحديث الشريف يحتاج من ضمن ما يحتاج إليه، أن يتذكر دائماً هذا الأصل، فلا يخوض في مجال البحث عن المراد دون تنبه إلى ذلك. فيتأدب في شرحه وبيانه لكلام الرسول ﷺ بذلك؛ فإذا ذكر فقه الحديث ومعانيه، نبّه إلى ما تضمنه من ضروب الفصاحة، والبيان، وبلاغة القول واللسان، مما يعزز ما استنبطه من معنى، ويطري ما جاء به من تقرير.

ومن مهمّات المتفقه مراعاة أنه ﷺ أوتي جوامع الكلم.

عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ** وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي"

قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ[١]: "وَبَلَغَنِي أَنَّ جَوَامِعَ الْكَلِمِ أَنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ الْأُمُورَ الْكَثِيرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُكْتَبُ فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ فِي الْأَمْرِ الْوَاحِدِ وَالْأَمْرَيْنِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ"[٢].

قال ابن رجب (ت٧٩٥هـ) رحمه الله: "إن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ بجوامع الكلم، وخصّه ببدائع الحكم، كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "بعثت بجوامع الكلم" قال الزهري: جوامع الكلم فيما بلغنا : أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله، في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك.

وفي صحيح مسلم عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ حَدَّثَنَا أَبُو بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: ادْعُوَا النَّاسَ وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا وَيَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا.

---

(١) كذا وقع في رواية أبي ذر لصحيح البخاري، وفي رواية كريمة: "قال محمد". وهو الصواب، لأن هذا قول محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أحد رواة الحديث، وقد ثبت عنه هذا القول في تفسير جوامع الكلم. انظر فتح الباري (١٢/٤٠١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب المفاتيح في اليد، حديث رقم (٧٠١٣)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، في أوّله، حديث رقم (٥٢٣).

قَالَ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْتِنَا فِي شَرَابَيْنِ كُنَّا نَصْنَعُهُمَا بِالْيَمَنِ الْبِتْعُ وَهُوَ مِنْ الْعَسَلِ يُنْبَذُ حَتَّى يَشْتَدَّ وَالْمِزْرُ وَهُوَ مِنْ الذُّرَةِ وَالشَّعِيرِ يُنْبَذُ حَتَّى يَشْتَدَّ؟

قَالَ: **وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُعْطِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ بِخَوَاتِمِهِ** فَقَالَ: أَنْهَى عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ أَسْكَرَ عَنْ الصَّلَاةِ"[(١)]. ...

فجوامع الكلم التي خص بها النبي ﷺ نوعان:

أحدهما : ما في القرآن كقوله عزوجل: {**إِنَ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ**} [النحل:٩٠]. قال الحسن: لم تترك هذه الآية خيراً إلا أمرت به، ولا شراً إلا نهت عنه.

والثاني : ما هو في كلامه ﷺ، وهو منتشر موجود في السنن المأثورة عنه ﷺ."اهـ [(٢)].

قال الخطابي (ت٣٨٨هـ) عليه رحمة الله: "إن الله جلّ وعزّ، لّما وضع رسوله موضع البلاغ من وحيه، ونصبه منصب البيان لدينه؛ اختار له من اللغات أعربها، ومن الألسن أفصحها وأبينها؛ ليباشر في لباسه مشاهد التبليغ، وينبذ القول بأوكد البيان والتعريف[(٣)] . ثم أمدّه بجوامع الكلم التي جعلها ردءاً لنبوته، وعلماً لرسالته، لينتظم في القليل منها الكثير، فيسهل على السامعين حفظه ولايؤودهم حمله.

ومن تتبع الجوامع من كلامه لم يعدم بيانها، وقد وصفت منها ضروباً، وكتبت لك من أمثلتها حروفاً، تدل على ما وراءها من نظائرها، واخوانها.

فمنها في القضايا والأحكام، قوله: "المؤمنون تكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الأشربة، باب كل مسكر خمر، وكل خمر حرام، حديث رقم (١٧٣٣).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٥٣-٥٦) باختصار وتصرف يسير.

(٣) وفي تقرير هذا المعنى يقول الطبري رحمه الله في تفسيره (بولاق) (١/٥-٦): "والله جلّ ذكره يتعالى عن أن يخاطب خطاباً أو يرسل رسالة لا توجب فائدة لمن خوطب، أو أرسلت إليه؛ لأن ذلك فينا من فعل أهل النقص والعبث، والله تعالى عن ذلك متعال؛ ولذلك قال جلّ ثناؤه في محكم تنزيله: {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم} [إبراهيم:٤]، وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون} [النحل:٦٤]؛ فغير جائز أن يكون به مهتدياً من كان بما يهدي إليه جاهلاً. فقد تبين إذا بما عليه دللنا من الدلالة: أن كل رسول لله جلّ ثناؤه أرسله إلى قوم فإنما أرسله بلسان من أرسله إليه، وكل كتاب أنزله على نبي، ورسالة أرسلها إلى أمة فإنما أنزله بلسان من أنزله أو أرسله إليه. واتضح بما قلنا ووصفنا أن كتاب الله الذي أنزله إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بلسان محمد صلى الله عليه وسلم. وإذا كان لسان محمد صلى الله عليه وسلم عربياً فبيّن أن القرآن عربي؛ وبذلك أيضاً نطق محكم تنزيل ربنا فقال جلّ ذكره: {إنا انزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون} [يوسف:٢]، وقال: {وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين} [الشعراء:١٩١ــ١٩٥]."اهـ

وهم يد على من سواهم"[١].

وقوله: "المنيحة مردودة، والعارية مردودة، والعارية مؤداة، والدين مقضي والزعيم غارم"[٢].

فهذان الحديثان على خفة الفاظهما يتضمنان عامة أحكام الأنفس والأموال.

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: "سلوا الله اليقين والعافية"[٣].

فتأمّل هذه الوصية الجامعة تجدها محيطة بخير الدنيا والآخرة؛ وذلك أن ملاك أمر الآخرة اليقين، وملاك لأمر الدنيا العافية، فكل طاعة لا يقين معها هدر، وكل نعمة لم تصحبها العافية كدر. فجمع هذا الكلام على وجازته وقلة حروفه أحد شطريه محيطاً بجوامع أمر الدين، وشطره الآخر متضمناً عامة مصالح الدنيا.

ضرب آخر:

ومن فصاحته وحسن بيانه؛ أنه قد تكلم بألفاظ اقتضبها، لم تسمع من العرب قبله، ولم توجد في متقدّم كلامها:

---

(١) حديث صحيح. عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث الصحيفة.
أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب كتابة العلم، وفي الجهاد باب فكاك الأسير، وفي الديات باب العاقلة، وباب لا يقتل مسلم بكافر، وأخرجه مسلم في الحج باب فضل المدينة، وفي العتق باب تحريم تولي العتيق غير مواليه، حديث رقم (١٣٧٠). وانظر جامع الأصول (٢٨/٨).

(٢) حديث حسن. عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.
أخرجه الترمذي في كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث، حديث رقم (٢١٢١)، وأبوداود في كتاب البيوع، باب في تضمن العارية، حديث رقم (٣٥٦٥). ولفظه: "العارية مؤداة والمنحة مردودة، والدين مقضي، والزعيم غارم"
والحديث حسنه الترمذي، ووافقه محقق جامع الأصول (٧٥١/١١).

(٣) حديث حسن عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
أخرجه أحمد (٣/١)، بلفظ: "سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة"، وفي (٨/١)، بلفظ: "يا أيها الناس إن الناس لم يعطوا في الدنيا خيراً من اليقين والمعافاة فسلوهما الله عزوجل". وبنحوه أحمد في المسند أيضاً (٣،٥،٧،١١/١)، والبخاري في الأدب المفرد باب من سأل الله العافية، تحت رقم (٧٢٤)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب رقم ١١٨، حديث رقم (٣٥٥٣)، وابن ماجة في كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، حديث رقم (٣٨٤٩)، وابن حبان (الإحسان ٢٣٠،٢٣٢/٣)، حديث رقم (٩٥٠،٩٥٢).
والحديث حسنه الترمذي وصححه ابن حبان، وابن حجر في الامتاع بالأربعين المتباينة السماع ص٢٦، بنحوه، وأحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٥٧/١)، حديث رقم (٦)، وقوّى اسناده محقق الإحسان، وقال الألباني: "حسن صحيح" مختصر سنن الترمذي (١٨٠/٣)، وصححه في صحيح الأدب المفرد ص٢٦٨، وصحح إسناد الترمذي محقق جامع الأصول (٣٣٩/٤).
ثم رأيت الحديث بلفظه في مسند أبي بكر للمروزي تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ، طبع المكتب الإسلامي، ص١٣٨، وحكم المحقق على سنده بالانقطاع، قلت: لكن يتقوى بما أوردته سابقاً فيرتقي بهذا اللفظ من هذا الطريق إلى الحسن لغيره، فالحمد لله على توفيقه، وأسأله المزيد من فضله.

كقوله: "مات حتف نفسه"[١].

وقوله: "حمي الوطيس"[٢].

وقوله في المسلم والكافر: "لا تراءى ناراهما"[٣].

في ألفاظ ذات عدد من هذا الباب تجري مجرى الأمثال[٤]. وقد يدخل في هذا النوع احداثه الأسماء الشرعية، ولذكرها موضع غير هذا[٥] .

ضرب آخر:

ومن فصاحته وسعة بيانه: أنه قد يوجد في كلامه الغريب الوحشي الذي يعيا به قومه وأصحابه، وعامتهم عرب صرحاء، لسانهم لسانه، ودارهم داره.

(وساق بسنده) عن فرات البهراني، عن أبي عامر: "إن رجلاً قال: يارسول الله مَنْ أهل

---

(١) حسن لغيره. جزء من حديث عن عبدالله بن عتيك رضي الله عنه.
أخرجه أحمد (٣٦/٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٩٣/٥ــ٢٩٤)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٥٩/٤)، حديث رقم (٢١٤٣)، وفي الجهاد له (٥٧٦/٢)، حديث رقم (٢٣٦)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٢٦١/١)، والطبراني في الكبير (١٩١/٢)، حديث رقم (١٧٧٨)، والحاكم في المستدرك (٨٨/٢)، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبير (١٦٦/٩).
والحديث قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٧/٥) عنه: "رواه أحمد والطبراني وفيه محمد بن إسحاق مدلس وقد عنعن"اهـ، قلت: أفاد الشيخ مساعد الراشد (سلمه الله) محقق كتاب الجهاد لابن أبي عاصم (٥٧٧/٢ــ٥٧٨)، أن ابن إسحاق صرّح بالتحديث عند أبي نعيم في معرفة الصحابة (٢:ق٢٤:ب)، فزالت شبهت تدليسه، كما أفاد بجهالة ابن عبدالله بن عتيك، راوي الحديث عن أبيه. قلت: جاء ما يشهد لروايته فانظر كتاب الجهاد لابن أبي عاصم (٢٢٢/١ــ٢٢٣)، حديث رقم (٥٣ــ٥٤)، وكلام محققه عليه، فالحديث بها حسن لغيره، ولفظه في هذه الشواهد: "بأي حتف شاء الله".

(٢) حديث صحيح. جزء من حديث العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه، في يوم حنين.
أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، حديث رقم (١٧٧٥). وانظر جامع الأصول (٣٩٢/٨).

(٣) حديث حسن لغيره. مروي عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه.
أخرجه الترمذي في كتاب السير، باب في كراهية المقام بين أظهر المشركين، حديث رقم (١٦٠٤)، وأبوداود في كتاب الجهاد باب على ما يقاتل المشركون، حديث رقم (٢٦٤٥). وأخرجه عن قيس عن رسول الله مرسلا، دون ذكر جرير: النسائي في كتاب القسامة، باب القود بغير حديدة (٣٦/٨).
والحديث حسن لغيره في معنى مفارقة المشركين، وصححه الألباني، انظر ارواء الغليل (٣٠/٥)، حديث رقم (١٢٠٧).

(٤) قلت: لابن دريد كتاب وسمه بـ "المجتنى" قال في مقدمته: "هذا كتاب يشتمل على فنون شتى من الأخبار المونقة والألفاظ المسترشقة، والأشعار الرائقة، والمعاني الفخمة والحكم المتناهية، والأحاديث المنتخبة.. ثم قال: فأوّل ما نستفتح به ما جاءنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم من ألفاظه التي لا يشوبها كدر الغي، و لا يطمس رونقها التكلف و لا يمحو طلاوتها التفيهق.."
ثم عقد باباً ص ٢١ــ٣٥، ترجمه بـ"ما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم و لم يسمع من غيره قبله"، أورد فيه جملة من الأحاديث التي بهذا المعنى، ومنها ما ذكره الخطابي رحمه الله تحت هذا الضرب.

(٥) انظر فيها كتاب: "الحقيقة الشرعية في تفسير القرآن والسنة النبوية"، لمحمد بازمول، دار الهجرة، الدمام.

النار؟ قال: كل قعبري! قال: يارسول الله وما "القعبري"؟ قال: الشديد على العشيرة، الشديد على الصاحب"[١].

(وساق بسنده) عن أبي هريرة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا انبئكم بأهل النار؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: كل جظ جعظ! قلت: ما الجظ؟ قال: الضخم. قلت: ما الجعظ؟ قال: العظيم في نفسه"[٢].

ضرب آخر:

ومن حسن بيانه: ترتيب الكلام وتنزيله منازله.

(وساق بسنده) عن البراء بن عازب قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: علمني عملاً يدخلني الجنة! فقال: اعتق النسمة وفك الرقبة. قال: أو ليسا

---

(١) إسناده ضعيف.
أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١٢٩/٧)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٧٧/٥)، وذكر محقق الاحاد: أن أبا نعيم أخرجه في معرفة الصحابة (٢٧٧/٢/ب). جميعهم من طريق: محمد بن الوليد الزبيدي عن سليم بن عامر، عن فرات البهراني، عن أبي عامر، به.
وفرات هو ابن ثعلبة البهراني، أورده البخاري في تاريخه الكبير، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في الثقات، فهو مجهول الحال، يقبل في المتابعات، ولا متابع له هنا.
ولفظ الحديث عند ابن أبي عاصم: "إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ أهل النار؟ فقال: سبحان الله! لقد سألت عن عظيم. كل قعبري. فقال: وما القعبري؟ قال: الشديد على العشيرة والشديد على الصاحب. فقال: ومَنْ أهل الجنة يا رسول الله؟ فقال: سبحان الله سألت عن عظيم، كل ضعيف مزهد"، وبنحوه لفظ البخاري في التاريخ الكبير.
قلت: ضعف هذا الحديث لا يقصر كلام الخطابي رحمه الله، فهناك أحاديث أخرى صحيحة تؤيد كلامه انظر تخريج الحديث التالي.

(٢) حديث منكر، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وصحّ بنحوه عن حارثة بن وهب ﷺ.
في السند عند الخطابي أبويحي القتات لين الحديث. وساق الحديث الحافظ العقيلي في ترجمة أبي يحي هذا، من الضعفاء الكبير (٣٣٠/١)، وسمّاه عبدالرحمن بن دينار، ولفظ الحديث عند العقيلي: "كل جعظري جواظ". وساقه الذهبي في ترجمة أبي يحي هذا من الميزان (٥٨٦/٤)، ولفظه عنده: "كل جعظري جواص".
وأخرج البخاري في كتاب التفسير تفسير سورة النور باب قوله تعالى: {عتل بعد ذلك زنيم}، حديث رقم (٤٩١٨)، ومسلم في كتاب صفة الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم (٢٨٥٣)، من حديث حَارِثَة بْنَ وَهْبٍ الْخُزَاعِيَّ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ"
قلت: ومما يدخل في المعنى الذي ذكره الخطابي رحمه الله: من أنه صلى الله عليه وسلم يأتي في كلامه ما يعيا به قومه وأصحابه وهم العرب الصرحاء: ما جاء عن جابر بن عبدالله: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يخرج من النار قوم بالشفاعة كأنهم الثعارير! قلنا: ما الثعارير؟ قال: الضغابيس"
وفي رواية: "إن الله يخرج ناساً من النار فيدخلهم الجنة".
وفي رواية: "إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة".
أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ومسلم في كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم (١٩١). وانظر جامع الأصول (٥٤٧/١٠).

واحداً؟ قال: لا؛ عتق النسمة أن تفرد بعتقها. وفك الرقبة أن تعين في ثمنها"[١].

(وساق بسنده) عن عبدالله بن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأدّاها ... الحديث[٢].

فتأمّل كيف رتب الوعي على الحفظ، فاشترط عليه الحفظ أوّلا، وهو تلقف الفاظها، وجمعها في صدره، ثم أمره بالوعي وهو مراقبته إيّاها بالتذكر، وتخوّلها بالرعاية والاستصحاب لها إلى أن يؤديها فيخرج من العهدة فيها.

وهذا الباب يطول على من يريد أن يتقصاه، وإنما نريد الإذكار لا الإكثار"اهـ[٣].

وقال القاضي عياض (ت٥٤٤هـ) رحمه الله: "وأمّا فصاحة اللسان وبلاغة القول؛ فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لايجهل: سلاسة طبع، وبراعة مترع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف. أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم السنة العرب؛ يخاطب كل أمة منها بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في مترع بلاغتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله.

ومن تأمّل حديثه، وسيره؛ علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني، وطهفة النهدي، وقطن بن حارثة العليمي، والأشعث بن قيس، ووائل بن حُجر الكندي، وغيرهم من أقيال حضرموت، وملوك اليمن ...

وأمّا كلامه المعتاد، وفصاحته المعلومة، وجوامع حكمه المأثورة؛ فقد ألف الناس فيها الدواوين، وجمعت ألفاظها ومعانيها الكتب، وفيها ما لا يوازى فصاحة، ولا يبارى بلاغة"اهـ[٤].

---

(١) اسناده صحيح.
أخرجه أحمد في المسند (٤/٢٩٩).

(٢) حديث متواتر.
حكم بتواتره السيوطي في مفتاح الجنة ص٢١، بتحقيق بدر البدر، طبعة ١٤١٤هـ، والكتاني في نظم المتناثر ص٢٤ـ٢٥.

(٣) غريب الحديث للخطابي (١/٦٤ـ٦٨).

(٤) الشفا (١/٩٥ـ١٠٧).
وانظر حول فصاحته صلى الله عليه وسلم: البيان والتبيين (٢/١٤)، فتح الباري (١٣/٢٤٧)، تاريخ آداب =

ولرسول الله ﷺ البلاغة التي يُشهد لها ومن ذلك غير ما تقدّم:

ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "حُجِبَتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ وَحُجِبَتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ"(١).

قال الكرماني رحمه الله: "قالوا: هذا من جوامع الكلم ومعناه لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكرهات [نحو الاجتهاد في العبادات والصبر على مشاقها...] ولا يوصل إلى النار إلا بالشهوات، وهما محجوبتان بهما فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره وهتك حجاب النار بالمشتهيات"اهـ(٢).

وقال ابن حجر (ت٨٥٢هـ) رحمه الله في شرحه لهذا الحديث : "هو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم وبديع بلاغته في ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس، والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها"اهـ(٣).

وما جاء في حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ، لّما ذكر قصة أبي سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ مع هِرَقْلَ، وفيه نص كِتَاب رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"(٤).

=

العرب (٢/٢٨١ــ٢٨٧)، دراسة مطوّلة للشيخ محمد لطفي الصباغ، في كتابه: "الحديث النبوي مصطلحه، بلاغته، كتبه" ص٤٣ــ١١٣، من بلاغة الحديث الشريف للدكتور عبدالفتاح لا شين، طبع شركة مكتبات عكاظ، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، "الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية" للدكتور كمال عزالدين، دار اقرأ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، ورسالة "السنة النبوية تعريفها وحجيتها وبلاغتها" للدكتور صالح بن أحمد رضا، والدكتور أحمد السيد الحسيسي/ دار الصحوة/ القاهرة/ الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ

(١) حديث صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات، حديث رقم (٦٤٨٧). وعن أنس ﷺ أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب، حديث رقم (٥٨٢٣).

(٢) شرح الكرماني على صحيح البخاري (٢٣/١١) بتصرف يسير.

(٣) فتح الباري (/).

(٤) حديث صحيح .

=

قال ابن حجر رحمه الله : "وقد اشتملت هذه الجمل القليلة التي تضمنها هذا الكتاب على:

ـــ الأمر بقوله: " أسلم".

ـــ والترغيب بقوله: "تسلم ويؤتك".

ـــ والزجر بقوله: "فإن توليت".

ـــ والترهيب بقوله: "فإن عليك".

ـــ والدلالة بقوله: "يا أهل الكتاب".

وفي ذلك من البلاغة ما لا يخفى وكيف لا وهو كلام من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم!"اهـ[١].

وما جاء عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا! قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ"[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: "قال ابن بطال: "النصر عند العرب الإعانة ، وتفسيره لنصر الظالم بمنعه من الظلم من تسمية الشيء بما يؤول إليه، وهو من وجيز البلاغة. قال البيهقي : معناه أن الظالم مظلوم في نفسه فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه لنفسه حسا ومعنى، فلو رأى إنسانا يريد أن يجب نفسه لظنه أن ذلك يزيل مفسدة طلبه الزنا مثلا منعه من ذلك وكان ذلك نصرا له ، واتحد في هذه الصورة الظالم والمظلوم"اهـ[٣].

ومن ذلك ما جاء عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاءُ فَيُخَالِطُهَا الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيُجْرِبُهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

=

أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي حديث رقم (٧)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، حديث رقم (١٧٧٣).

(١) فتح الباري (١/٣٩ـــ٤٠).

(٢) حديث صحيح.

أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب باب أعد أخاك ظالماً أو مظلوماً، حديث رقم (٢٤٤٤).

(٣) فتح الباري (٥/٩٨).

وَسَلَّمَ: فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟!"[١].

قال ابن حجر رحمه الله: "قوله : (فيجربها) في رواية مسلم "فيدخل فيها ويجربها " بضم أوله ، وهو بناء على ما كانوا يعتقدون من العدوى ، أي يكون سببا لوقوع الحرب بها ، وهذا من أوهام الجهال ، كانوا يعتقدون أن المريض إذا دخل في الأصحاء أمرضهم فنفى الشارع ذلك وأبطله ، فلما أورد الأعرابي الشبهة رد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : " فمن أعدى الأول؟" وهو جواب في غاية البلاغة والرشاقة . وحاصله من أين الجرب للذي أعدى بزعمهم ؟ فإن أجيب من بعير آخر لزم التسلسل أو سبب آخر فليفصح به ، فإن أجيب بأن الذي فعله في الأول هو الذي فعله في الثاني ثبت المدعي، وهو أن الذي فعل بالجميع ذلك هو الخالق القادر على كل شيء وهو الله سبحانه وتعالى."اهـ[٢].

ومن بلاغته في التشبيه والكناية والمعاريض ما جاء عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "أَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ وَمَعَهُنَّ أُمُّ سُلَيْمٍ فَقَالَ: وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ"

قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: فَتَكَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَلِمَةٍ لَوْ تَكَلَّمَ بِهَا بَعْضُكُمْ لَعِبْتُمُوهَا عَلَيْهِ قَوْلُهُ: "سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ"[٣].

قال ابن حجر رحمه الله: "قوله : "بالقوارير" في رواية هشام عن قتادة: "رويدك سوقك ولا تكسر القوارير" وزاد حماد في روايته عن أيوب قال أبو قلابة : يعني النساء ، ففي رواية همام عن قتادة "ولا تكسر القوارير" قال قتادة: يعني ضعفة النساء والقوارير جمع قارورة وهي الزجاجة سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها.

وقال الرامهرمزي : كني عن النساء بالقوارير لرقتهن وضعفهن عن الحركة ، والنساء

---

(١) حديث صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب الطب باب "لاهامة"، حديث رقم (٥٧٧١)، ومسلم في كتاب السلام باب لا عدوى و لا طيرة ولا هامة...، حديث رقم (٢٢٢٠).
(٢) فتح الباري (١٠/٢٤١ــ٢٤٢).
(٣) حديث صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره فيه، حديث رقم (٦١٤٩)، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب رحمة النبي ﷺ بالنساء، وأمر السواق مطايهن بالرفق بهن، حديث رقم (٢٣٢٣).

يشبهن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية. وقيل : المعنى سقهن كسوقك القوارير لو كانت محمولة على الإبل.

وقال غيره : شبههن بالقوارير لسرعة انقلابهن عن الرضا، وقلة دوامهن على الوفـــاء، كالقوارير يسرع إليها الكسر ولا تقبل الجبر ، وقد استعملت الشعراء ذلك،

قال بشار :

ارفق بعمرو إذا حركت فإنه عربي من قوارير

نسبته

"قال أبو قلابة : فتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعبتموها عليه : "سوقك بالقوارير" قال الداودي : هذا قاله أبو قلابة لأهل العراق لما كان عندهم من التكلف ومعارضة الحق بالباطل.

وقال الكرماني : لعله نظر إلى أن شرط الاستعارة أن يكون وجه الشبه جليا ، ولـــيس بين القارورة والمرأة وجه للتشبيه من حيث ذاتهما ظاهر، لكن الحق أنه كـــلام في غايـــة الحسن والسلامة عن العيب؛ ولا يلزم في الاستعارة أن يكون جلاء وحه الشبه من حيث ذاتهما، بل يكفي الجلاء الحاصل من القرائن الحاصلة، وهو هنا كذلك. قال : ويحتمل أن يكون قصد أبي قلابة أن هذه الاستعارة تحسن من مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في البلاغة، ولو صدرت من غيره ممن لا بلاغة له لعبتموها. قال: وهذا هو اللائق بمنصب أبي قلابة[١].

قلت : وليس ما قاله الداودي بعيدا ولكن المراد من كان يتنطع في العبارة ويتجنـــب الألفاظ التي تشتمل على شيء من الهزل. وقريب من ذلك قول شداد بن أوس الـــصحابي لغلامه : "ائتنا بسفرة نعبث بها"، فأنكرت عليه ، أخرجه أحمد والطبراني[٢] .

---

(١) كلامه في شرحه على صحيح البخـــــاري (٢٢/٢٢ــ٢٣).

(٢) حديث حسن لغيره.

أخرجه أحمد في المسند (١٢٣/٤، ١٢٥)، والترمذي في كتاب الدعوات باب منه، حديث رقـــم (٣٤٠٧)، والنسائي في كتاب السهو باب نوع آخر من الدعاء، (٥٤/٣ حديث رقم ١٣٠٣)، وابن حبان (الإحـــسان ٣١٠/٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٧٩،٢٨٧/٧، ٢٩٤)، تحت الأرقام التالية: (٧١٥٧،٧١٣٥، ٧١٧٨ــ٧١٨٠)، وفي كتاب الدعاء (١٠٨٠/٢ــ١٠٨٣)، تحت الأرقام التالية: (٦٢٦ــ٦٣٢)، وليس في سياق الحديث عنده في المعجم وفي الدعاء ذكر قصة السفرة، وأخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الـــدعاء والتكبير باب الدعاء بعد أكل الطعام ولس الثوب، (١٨٦/٢ حديث رقم ١٩١٥)، و أبـــونعيم في الحليـــة =

قال الخطابي : كان أنجشة أسود وكان في سوقه عنف ، فأمره أن يرفق بالمطايا . وقيل : كان حسن الصوت بالحداء فكره أن تسمع النساء الحداء فإن حسن الصوت يحرك من النفوس ، فشبه ضعف عزائمهن وسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في سرعة الكسر إليها .

وجزم ابن بطال بالأول فقال : القوارير كناية عن النساء اللاتي كن على الإبل التي تساق حينئذ، فأمر الحادي بالرفق في الحداء لأنه يحث الإبل حتى تسرع فإذا أسرعت لم يؤمن على النساء السقوط، وإذا مشت رويدا أمن على النساء السقوط، قال : وهذا من الاستعارة البديعة، لأن القوارير أسرع شيء تكسيرا، فأفادت الكناية من الحض على الرفق بالنساء في السير ما لم تفده الحقيقة لو قال أرفق بالنساء.

وقال الطيبي : هي استعارة لأن المشبه به غير مذكور ، والقرينة حالية لا مقالية ، ولفظ

=

(١/٢٦٥ــ٢٦٧) تقريب البغية (٣/٤٠٢ــ٤٠٥، تحت الأرقام ٤١٨٨ــ٤١٩٤) من طرق، أحدها عن الطبراني وليس فيه قصة السفرة. وسند احمد في الموضع الأول من طريق "حسان بن عطية عن شداد"، وهو منقطع حسان بن عطية لم يسمع من أحد من الصحابة كما يدل عليه تصرف ابن حبان إذ أدرجه في طبقة أتباع التابعين، وانظر تحفة التحصيل ص٦٦، وقد قال أبونعيم في الحلية (١/٢٦٦): "هكذا رواه عامة أصحاب الأوزاعي عنه مرسلاً، وجوّده عنه سويد بن عبدالعزيز"اهـ، وسويد ضعيف، فالسند ضعيف من هذا الطريق، والله اعلم. وسند الطريق الثاني من طريق أبي العلاء بن الشخير عن الحنظلي عن شداد، والحنظلي " وعند الترمذي (٣٤٠٧): "عَنْ الْجُرَيْرِيِّ عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ الشِّخِّيرِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ قَالَ صَحِبْتُ شَدَّادَ بْنَ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سَفَرٍ فَقَالَ أَلَا أُعَلِّمُكَ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا ... قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَالْجُرَيْرِيُّ هُوَ سَعِيدُ بْنُ إِيَاسٍ أَبُو مَسْعُودٍ الْجُرَيْرِيُّ وَأَبُو الْعَلَاءِ اسْمُهُ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ"، فهذا الرجل الحنظلي مبهم، وإن كان الظاهر أنه في حيز القبول إذ صحبته لهذا الصحابي في السفر، وكونه معروفاً بهذه الصحبة مما يقوي حاله، والله اعلم، غير أنه يلاحظ أن السقط في السند الأول في موضع الإبهام في السند الثاني، لكن أحد الطرق التي أخرجها الطبراني من طريق: اسماعيل بن عياش عن محمد بن يزيد الرحبي عن أبي الأشعث الصنعاني عن شداد، قال محقق الإحسان: "هذا سند حسن رجاله ثقات غير محمد بن يزيد فقد أورده ابن أبي حاتم (٨/١٢٧)، ولم يذكر فيه جرحاً و لا تعديلاً، وروى عنه جمع، فمثله يكون حسن الحديث"اهـ و سند الحديث عند الحاكم، من طريق عمر اليمامي عن عكرمة بن عمار عن شداد، وصححه الحاكم على شرط مسلم، وحسن إسناد الحاكم محقق الإحسان، فالحديث بمجموع الطرق يترقى إلى درجة الصحيح لغيره، دون ذكر موضع الدعاء، و دون ذكر قصة السفرة، فإنها في مرتبة الحسن لغيره فقط، والله اعلم.

ولفظ الحديث عند أحمد في المسند (٤/١٢٣)، : "حَدَّثَنَا رَوْحٌ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ قَالَ: كَانَ شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ فِي سَفَرٍ فَنَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ لِغُلَامِهِ: ائْتِنَا بِالشَّفْرَةِ نَعْبَثْ بِهَا فَأَنْكَرَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَا تَكَلَّمْتُ بِكَلِمَةٍ مُنْذُ أَسْلَمْتُ إِلَّا وَأَنَا أَخْطِمُهَا وَأَزُمُّهَا إِلَّا كَلِمَتِي هَذِهِ فَلَا تَحْفَظُوهَا عَلَيَّ وَاحْفَظُوا مِنِّي مَا أَقُولُ لَكُمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِذَا كَنَزَ النَّاسُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَاكْنِزُوا هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَأَسْأَلُكَ حُسْنَ عِبَادَتِكَ وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ"

الكسر ترشيح لها.

وجزم أبو عبيد الهروي بالثاني وقال : شبه النساء بالقوارير لضعف عزائمهن، والقوارير يسرع إليها الكسر، فخشي من سماعهن النشيد الذي يحدو به أن يقع بقلوبهن منه، فأمره بالكف ، فشبه عزائمهن بسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في إسراع الكسر إليها.

ورجح عياض هذا الثاني فقال هذا أشبه بمساق الكلام، وهو الذي يدل عليه كلام أبي قلابة ، وإلا فلو عبر عن السقوط بالكسر لم يعبه أحد .

وجوز القرطبي في " المفهم " الأمرين فقال : شبههن بالقوارير لسرعة تأثرهن وعدم تجلدهن، فخاف عليهن من حث السير بسرعة السقوط أو التألم من كثرة الحركة والاضطراب الناشئ عن السرعة، أو خاف عليهن الفتنة من سماع النشيد.

قلت : والراجح عند البخاري الثاني، ولذلك أدخل هذا الحديث في "باب المعاريض" ، ولو أريد المعنى الأول لم يكن في القوارير تعريض"اهـ[١].

ومن بلاغة التشبيه ما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ : "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ فَإِذَا رَجُلٌ آدَمُ سَبْطُ الشَّعَرِ يَنْطُفُ أَوْ يُهَرَاقُ رَأْسُهُ مَاءً قُلْتُ: مَنْ هَذَا قَالُوا: ابْنُ مَرْيَمَ. ثُمَّ ذَهَبْتُ أَلْتَفِتُ فَإِذَا رَجُلٌ جَسِيمٌ أَحْمَرُ جَعْدُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ الْعَيْنِ كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ قَالُوا: هَذَا الدَّجَّالُ أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا ابْنُ قَطَنٍ رَجُلٌ مِنْ خُزَاعَةَ"[٢].

قال ابن حجر رحمه الله: "قوله: "كأن عينه عنبة طافية" بياء غير مهموزة أي بارزة ، ولبعضهم بالهمز أي ذهب ضوؤها، ... وقع في حديث أبي سعيد عند أحمد: "وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى كأنها نخاعة في حائط مجصص ، وعينه اليسرى كأنها كوكب دري" فوصف عينيه معا"[٣] وتشبيهها بالنخاعة في الحائط المجصص في غاية

---

(١) فتح الباري (١٠/٥٤٥ـ٥٤٦).

(٢) حديث صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب ذكر الدجال، حديث رقم (٧١٢٨)، ومسلم في كتاب الإيمان باب ذكر المسيح ابن مريم، حديث رقم (١٦٩).

(٣) حديث حسن لغيره .
أخرجه أحمد في المسند (٣/٧٩) (الرسالة ١٨/٢٧٥، حديث رقم ١١٧٥٢)، والحاكم في المستدرك (٤/٤٩٣، تحت رقم ٤٢٢٤) مختصراً لم يذكر فيه محل الشاهد، وقال الذهبي في مختصر المستدرك: "مجالد ضعيف"اهـ، وضعفه محققو مسند أحمد (الرسالة). قلت: لكن محل الشاهد له شواهد كثيرة ترقيه إلى مرتبة =

البلاغة ، وأما تشبيهها بالزجاجة الخضراء وبالكوكب الدري فلا ينافي ذلك فإن كثيرا ممن يحدث له في عينه النتوء يبقى معه الإدراك فيكون الدجال من هذا القبيل والله أعلم"اهـ(١).

ومن بلاغته صلى الله عليه وسلم في المقابلة، ما جاء عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا"(٢).

قال الكرماني رحمه الله: "فيه نوعان من [صناعة] البديع : مقابلة الضحك بالبكاء والقلة بالكثرة ومطابقة كل منهما بالآخر"اهـ(٣).

من كلام الأئمة في الإشارة إلى بعض الأحاديث الجوامع ما يلي:

قال أحمد بن حنبل رحمه الله: "أصول الإسلام تدور على ثلاثة أحاديث:

قوله: "الحلال بيِّن والحرام بيِّن"(٤).

وقوله: "إنما الأعمال بالنيات"(٥).

=

الحسن لغيره إن شاء الله تعالى. ولفظه عند أحمد: "حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمُتَعَالِ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأُمَوِيُّ حَدَّثَنَا مُجَالِدٌ عَنْ أَبِي الْوَدَّاكِ قَالَ قَالَ لِي أَبُو سَعِيدٍ هَلْ يُقِرُّ الْخَوَارِجُ بِالدَّجَّالِ فَقُلْتُ لَا فَقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي خَاتَمُ أَلْفِ نَبِيٍّ وَأَكْثَرُ مَا بُعِثَ نَبِيٌّ يُتَّبَعُ إِلَّا قَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ وَإِنِّي قَدْ بُيِّنَ لِي مِنْ أَمْرِهِ مَا لَمْ يُبَيَّنْ لِأَحَدٍ وَإِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ وَعَيْنُهُ الْيُمْنَى عَوْرَاءُ جَاحِظَةٌ وَلَا تَخْفَى كَأَنَّهَا النُخَامَةُ فِي حَائِطٍ مُجَصَّصٍ وَعَيْنُهُ الْيُسْرَى كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ مَعَهُ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ وَمَعَهُ صُورَةُ الْجَنَّةِ خَضْرَاءُ يَجْرِي فِيهَا الْمَاءُ وَصُورَةُ النَّارِ سَوْدَاءُ تَدَّاخَنُ".

(١) فتح الباري (١٣/٩٧ــ٩٨) باختصار.

(٢) حديث صحيح.
أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي: لوتعلمون ما أعلم لضحكتم حديث رقم (٦٤٨٥)، ومسلم في كتاب الفضائل باب توقيره وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، حديث رقم (٢٣٥٩).

(٣) شرح الكرماني على صحيح البخاري (٢٣/١٠).

(٤) حديث صحيح، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.
أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم (٥٢)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال، وترك الشبهات، حديث رقم (١٥٩٩)، ولفظ الحديث عند البخاري: "عَنْ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ".

(٥) حديث صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
أخرجه البخاري في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي عليه صلى الله عليه وسلم، وهو أول حديث فيه، وفي مواضع أخرى، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنيات"، حديث رقم (٢٢٠١). انظر جامع الأصول (١١/٥٥٥).

وقوله: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"[١].".

قال ابن تيمية رحمه الله، مبيناً ذلك: "فإن الأعمال إمّا مأمورات وإمّا محظورات. والأوّل فيه ذكر المحظور. والمأمورات إما قصد القلب والنية، وإمّا العمل الظاهر، وهو المشروع الموافق للسنة"اهـ[٢].

[عن إسحاق بن راهوية قال: أربعة أحاديث هي من أصول الدين :

حديث عمر: "إنما الأعمال بالنيات". وحديث: "الحلال بيِّن والحرام بيِّن". وحديث: "إن خلق أحدكم يُجمع في بطن أمِّه"[٣]. وحديث: "من صنع في أمرنا شيئاً ليس منه فهو رد".

وروى عثمان بن سعيد عن أبي عبيد قال: جمع النبي ﷺ جميع أمر الآخرة في كلمة: "من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد". وجمع أمر الدنيا كله في كلمة: "إنما الأعمال بالنيات" يدخلان في كل باب.

وعن أبي داود، قال: نظرت في الحديث المسند، فإذا هو أربعة آلاف حديث، ثم نظرت، فإذا مدار الأربعة الآف حديث على أربعة أحاديث: حديث النعمان بن بشير: "الحلال بين والحرام بين". وحديث عمر: "إنما الأعمال بالنيات". وحديث أبي هريرة: "إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين"[٤] الحديث. وحديث:

---

(١) حديث صحيح. عن عائشة رضي الله عنها.
أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، حديث رقم (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، حديث رقم (١٧١٨). ولفظ البخاري: "عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ".

(٢) طريق الوصول إلى العلم المأمول لابن سعدي نقلاً عن ابن تيمية ص١٩٩-٢٠٠، تحت أصول منقوله من كتب ابن تيمية وفتاويه رقم (٦٤٠) .

(٣) حديث صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه.
أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم (٣٢٠٨)، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله، حديث رقم (٢٦٤٣). ولفظ البخاري : "عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: "حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ قَالَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ وَيُقَالُ لَهُ اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ".

(٤) حديث صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، وتربيتها، حديث رقم (١٠١٥).
=

"من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه"[١]. قال: فكل حديث من هذه ربع العلم.

وعن أبي داود أيضاً، قال: "كتبت عن رسول الله ﷺ خمس مئة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمّنته هذا الكتاب - يعني كتاب "السنن" - جمعت فيه أربعة آلاف وثمان مئة حديث، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث:

أحدها: قوله ﷺ: "الأعمال بالنيات".

والثاني: "قوله ﷺ: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".

=

ولفظ الحديث : "عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ".

(١) حديث حسن لغيره.

أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الجامع باب ما جاء في حسن الخلق، تحت رقم (١٦٧١)، ومن طريقه الترمذي في كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، حديث رقم (٢٣١٧)، الترمذي في كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، حديث رقم (٢٣١٧)، من طريق الزُّهْرِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ"

و قَالَ أَبُو عِيسَى الترمذي: "وَهَكَذَا رَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ الزُّهْرِيِّ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ حَدِيثِ مَالِكٍ مُرْسَلًا وَهَذَا عِنْدَنَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ لَمْ يُدْرِكْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ"اهـ

وأخرجه أحمد في المسند (٢٠١/١)، من طريق شعيب بن خالد عن حسين بن علي قال قال رسول الله ﷺ : "من حسن إسلام المرء تركه الكلام فيما لا يعنيه".

وأخرجه أحمد أيضاً (٢٠١/١)، والطبراني في الصغير (الروض الداني ٢٣١/٢ تحت رقم ١٠٨١)، وفي الكبير (٢٨٨٦)، وتمام في فوائده (البدر التمام ٣٢٨/٣ تحت رقم ١٠٩٨)، من طريق ابن شهاب عن علي بن حسين عن أبيه قال رسول الله ﷺ: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"

وأخرجه عن أبي هريرة ﷺ الترمذي في كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، حديث رقم (٢٣١٧)، وابن ماجة في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، حديث رقم (٣٩٧٦)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (الإحسان ٤٦٦/١ حديث رقم ٢٢٩)، وأبو الشيخ في كتاب الأمثال ص٥٤-٥٥ تحت رقم (٥٣-٥٤)، وتمام الرازي في فوائده (البدر التمام ٣٢٩/٣-٣٢٢، تحت رقم ١٠٩٩-١١٠١)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٤٤/١ تحت رقم ١٩٢). ولفظ الترمذي : "عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ"

قال الترمذي: "قَالَ هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ".

ومن حديث زيد بن ثابت عند الطبراني في الصغير (الروض الداني ١١٨/٢ تحت رقم ٨٨٤)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٤٣/١ تحت رقم ١٩١)،

والحديث حسنه النووي في الأربعين، و قال صاحب فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب (١٧٣/١): "وصححه جماعة منهم ابن عبدالبر والحافظ لهيثمي ... وأخطأ من ضعفه"اهـ، وصححه لغيره الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨/٢-٢٦٩)، وحسنه لغيره محقق الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤٦٧/١)، وصاحب البدر التمام (٣٣١/٣).

والثالث: قوله ﷺ: "لا يكون المرء مؤمناً حتى يدع ما لا يرضى لأخيه إلا ما يرضى لنفسه".

والرابع : قوله ﷺ: "الحلال بيِّن والحرام بيِّن".

وفي رواية أخرى عنه، أنه قال: الفقه يدور على خمسة أحاديث: "الحلال بيِّن والحرام بيِّن"، وقوله: "لا ضرر و لا ضرار"، وقوله ﷺ: "الأعمال بالنيات"، وقوله: "الدين النصيحة"، وقوله: "وما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم".

وفي رواية عنه، قال: أصول السنن في كل فن: أربعة أحاديث: حديث عمر: "الأعمال بالنيات". وحديث الحلال بيِّن والحرام بيِّن". وحديث: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه". وحديث: "ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس"][(١)].

قال ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) رحمه الله: "قوله ﷺ: "مطل الغني ظلم، وإذا اتبع أحدكم على مليء فليتبع" من جوامع الكلم؛ جمع فيه بين حسن الوفاء وحسن الاستيفاء. ونهى عما يضاد ذلك. فأمر المدين بالوفاء، ونهاه عن المطل، وبين أنه ظالم إذا مطل وأمر الغريم بقبول الوفاء إذا أحيل على مليء، وهذا كقوله: {**فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ**} [البقرة:١٧٩]. أمر المستحق أن يطالب بالمعروف وأمر المدين أن يؤدي بإحسان"اهـ[(٢)].

قال ابن رجب (ت٧٩٥هـ) رحمه الله: "وقد جمع العلماء جموعاً من كلماته ﷺ الجامعة، فصنف الحافظ أبوبكر ابن السني كتاباً سمّاه: "الإيجاز وجوامع الكلم من السنن المأثورة" وجمع القاضي أبوعبدالله القضاعي من جوامع الكلم الوجيزة كتاباً سمّاه : "الشهاب في الحكم والآداب"[(٣)] وصنف على منواله آخرون، فزادوا على ما ذكره زيادة

---

(١) ما بين معقوفتين نقلته من جامع العلوم والحكم (١/٦٢-٦٣).

(٢) طريق الوصول إلى العلم المأمول، لابن سعدي نقلا عن ابن تيمية ص٥٣، تحت أصول منقوله من كتب ابن تيمية وفتاويه رقم ١٢٧.

(٣) وهو كتاب محذوف الأسانيد، ثم أسند ما فيه من الأحاديث وسمّاه "مسند الشهاب" وقد طبع مسند الشهاب، بتحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي/ مؤسسة الرسالة/الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
قال القاضي القضاعي رحمه الله في مقدمة الشهاب: "أمّا بعد فإن في الألفاظ النبوية والآداب الشرعية: جلاء لقلوب العارفين، وشِفاء لأدواء الخائفين؛ لصدورها عن المؤيد بالعصمة، والمخصوص بالبيان والحكمة، الذي يدعو إلى الهدى، ويبصر من العمى، و لا ينطق عن الهوى ﷺ، افضل ما صلى على أحد من عباده الذين اصطفى. وقد جمعت في كتابي هذا مما سمعته من حديث رسول الله ﷺ ألف كلمة من الحكمة في الوصايا والآداب، والمواعظ والأمثال، قد سلمت من التكلف مبانيها، وبعدت عن التعسف معانيها، وبانت بالتأييد عن فصاحة الفصحاء، وتميّزت بهدي النبوة عن بلاغة البلغاء، وجعلتها مسرودة يتلو بعضها بعضاً، محذوفة الأسانيد، مبوبة أبواباً على حسب تقارب الألفاظ ..." نقلها حمدي السلفي في مقدمة تحقيقه لمسند الشهاب =

كثيرة. وأشار الخطابي في أوّل كتابه "غريب الحديث" إلى يسير من الأحاديث الجامعة[١].

وأملى الإمام الحافظ أبوعمرو بن الصلاح مجلساً سمّاه "الأحاديث الكلية"، جمع فيه الأحاديث الجوامع التي يقال: إن مدار الدين عليها، وما كان في معناها من الكلمات الجامعة الوجيزة، فاشتمل مجلسه هذا على ستة وعشرين حديثاً.

ثم إن الفقيه الإمام الزاهد القدوة أبا زكريا يحي النووي رحمة الله عليه أخذ هذه الأحاديث التي أملاها ابن الصلاح، وزاد عليها تمام اثنين وأربعين حديثاً، وسمى كتابه بالأربعين[٢]، واشتهرت هذه الأربعون التي جمعها، وكثر حفظها، ونفع الله بها ببركة نية جامعها وحسن قصده رحمه الله"اهـ[٣].

=

(١/١٢).

وجاء في مقدمة مسند الشهاب للقضاعي: "هذا كتاب جمعت فيه أسانيد ما تضمنه كتاب الشهاب من الأمثال والمواعظ والآداب، فمن أراد المتون مسرودة نظرها هناك، ومن أراد مطالعة اسانيدها نظرها في هذا الكتاب"اهـ.

(١) وقد نقلت كلامه رحمه الله فيما سبق.

(٢) وهي المعروفة بـ "الأربعين النووية".

(٣) جامع العلوم والحكم (١/٥٦-٥٧)، باختصار وتصرف يسير.

المقصد الأول
مبادئ علم غريب الحديث

[إن رسول الله ﷺ كان عربياً وكذلك جمهور أصحابه وتابعيهم، فوقع في كلامهم من اللغة ما كان مشهوراً بينهم، ثم وقعت مخالطة الأعاجم ففشى اللحن، وجهل جمهور الناس معظم اللغة، فافتقر الكلام إلى التفسير][(١)] .

فموضوع هذا العلم هو أحاديث الرسول ﷺ فيما اشتملت عليه من ألفاظ تحتاج إلى تفسير وتوضيح وبيان.

واسمه : علم غريب الحديث.

تعريف علم غريب الحديث :

قال الخطابي (ت٣٨٨هـ) رحمه الله: "الغريب من الكلام إنما هو الغامض البعيد من الفهم، كالغريب من الناس: إنما هو البعيد عن الوطن، والمنقطع عن الأهل، ومنه قولك للرجل إذا نحيته وأقصيته: أغرب عني، أي: أبعد"اهـ[(٢)].

فغريب الحديث هو [ما يخفى معناه من المتون لقلة استعماله، ودورانه بحيث يبعد فهمه و لا يظهر إلا بالتنقير عنه من كتب اللغة.

وهو من المهمات لتوقف التلفظ ببعض الألفاظ فضلاً عن فهمها عليه، وتتأكد العناية به لمن يروي بالمعنى][(٣)].

ولفظة "علم" :

في اللغة: الإدراك والمعرفة.

وفي اصطلاح التدوين: مجموعة المسائل المتعلقة بجهة ما[(٤)].

---

(١) من كلام ابن الجوزي في كتابه غريب الحديث (١/١).
(٢) غريب الحديث للخطابي ٠١/٧٠).
(٣) من كلام السخاوي في فتح المغيث (٤/٢٢).
(٤) كشف الظنون (١/٦)، وقارن بـ أبجد العلوم (١/٤٣).

وعليه؛ فإن **علم غريب الحديث**: هو مجموعة المسائل المتعلقة بمعرفة ما يخفى معناه من عن المتون لقلة استعماله، ودورانه بحيث يبعد فهمه".

حكم تعلمه:

تعلمه لمن يروي الحديث ويفسره فرض عين، إذ لا يمكنه القيام بما هو في صدده على الصحيح، إلا بمعرفته.

وتعلمه على الأمة فرض كفاية إذا قام به بعضهم سقط عن الآخرين.

وهو من العلوم المستحبة لطالب العم، ويتأكد تعلمه على طالب الحديث!

ومن فوائد معرفة غريب الحديث وفضل معرفته:

- تفسير الألفاظ الغريبة في الحديث والوقوف على فهمها .

- ضبط الألفاظ الواردة في الحديث إذ يتوقف ضبطها على تفسيرها.

- دفع الإشكال والرد على ما يشنع به أهل الأهواء على أهل الحديث. فإن هذا من الأبواب التي يدسون فيها شبههم، فإذا علم معنى الحديث، ارتفع الإشكال، [فلا يتوهم على نقلة الحديث ما يشنع به ذوو الأهواء، عليهم في مثل هذه الأحاديث، من حمل الكذب والمتناقض][(١)] .

- الوقوف على سبب من أسباب اختلاف العلماء؛ فقد ذكر ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) رحمه الله، من أسباب مخالفة بعض الأئمة الأعلام لأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام : "السبب السادس عدم معرفته بدلالة الحديث؛

تارة لكون اللفظ الذي في الحديث غريبا عنده مثل لفظ (المزابنة) و (المحاقلة) و (المخابرة) و(الملامسة) و (المنابذة) و (الغرر)[(٢)]، إلى غير ذلك من الكلمات الغريبة التي قد يختلف العلماء في تفسيرها، وكالحديث المرفوع: "لا طلاق ولا عتاق في إغلاق"[(٣)]،

---

(١) من كلام ابن قتيبة في غريب الحديث لابن قتيبة (١/٤).

(٢) هذه الألفاظ كلها متعلقة بالبيوع، انظر الفصل الذي عقده ابن قتيبة في أول كتابه غريب الحديث في ذكر الألفاظ في الفقه والأحكام واشتقاقها (١/٢٩-٣٣).

(٣) أخرجه أحمد (٤٣/٣٧٨، تحت رقم ٢٦٣٦٠، الرسالة)، وأبوداود في كتاب الطلاق، باب الطلاق على الغلط، حديث رقم (٢١٩٣)، وابن ماجة في كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، حديث رقم (٢٠٥٦). ولفظ أبي داود: "عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ الَّذِي كَانَ يَسْكُنُ إِيلِيَا قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ الْكِنْدِيِّ حَتَّى قَدِمْنَا مَكَّةَ فَبَعَثَنِي إِلَى صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ وَكَانَتْ قَدْ حَفِظَتْ مِنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَا طَلَاقَ وَلَا عَتَاقَ فِي غِلَاقٍ".". وفي السند محمد بن عبيد بن =

فإنهم قد فسروا الإغلاق بالإكراه، ومن يخالفه لا يعرف هذا التفسير.

وتارة لكون معناه في لغته وعرفه غير معناه في لغة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يحمله على ما يفهمه في لغته بناء على أن الأصل بقاء اللغة، كما سمع بعضهم آثارا في الرخصة في (النبيذ) فظنوه بعض أنواع المسكر، لأنه لغتهم وإنما هو ما ينبذ لتحلية الماء قبل أن يشتد فانه جاء مفسرا في أحاديث كثيرة صحيحة، وسمعوا لفظ الخمر في الكتاب والسنة، فاعتقدوه عصير العنب المشتد خاصة بناء على انه كذلك في اللغة، وإن كان قد جاء من الأحاديث أحاديث صحيحة تبين أن الخمر اسم لكل شراب مسكر.

وتارة لكون اللفظ مشتركا أو مجملا أو مترددا بين حقيقة ومجاز فيحمله على الأقرب عنده، وإن كان المراد هو الآخر، كما حمل جماعة من الصحابة في أول الأمر الخيط الأبيض والخيط الأسود على الحبل، وكما حمل آخرون قوله: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ (النساء: من الآية٤٣)، (المائدة من الآية٦)، على اليد إلى الإبط.

وتارة لكون الدلالة من النص خفية، فإن جهات دلالات الأقوال متسعة جدا يتفاوت الناس في إدراكها وفهم وجوه الكلام بحسب منح الحق سبحانه ومواهبه، ثم قد يعرفها الرجل من حيث العموم ولا يتفطن لكون هذا المعنى داخلا في ذلك العام، ثم قد يتفطن له تارة ثم ينساه بعد ذلك، وهذا باب واسع جدا لا يحيط به إلا الله، وقد يغلط الرجل فيفهم من الكلام مالا تحمله اللغة العربية التي بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بها"اهـ[1] .

نشأة هذا العلم ومراحل التصنيف فيه:

قال ابن الأثير المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو السعادات، مجد الدين: المحدث اللغوي الأصولي ت٦٠٦هـ)[2]رحمه الله في مقدمة كتابه

=

أبي صالح ضعيف، وقد ضعف الحديث بسببه محققو المسند، لكن معنى الحديث صحيح، فإن من صدر منه ما لا يريده و لا يقصده، فقد أغلق عليه، وهو في حكم المكره، والله اعلم.وقد قال أبوداود عقبه: "الْغِلَاقُ أَظُنُّهُ فِي الْغَضَبِ"، يعني: من بلغ به الغضب هذا الحد، الذي يكون فيه بحكم المكره.

(١) رفع الملام عَن الأئمة الأعلام ص٣٦-٤٢، مجموع الفتاوى (٢٠/٢٤٤-٢٤٥).

(٢) وهو أخو العلامة الحافظ فخر العلماء عز الدين أبو الحسن على بن الأثير أبو الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري المحدث اللغوي صاحب "التاريخ" و "معرفة الصحابة" و "الأنساب" وغير ذلك، (ت٦٣٠هـ)، وأخو الوزير العلامة الصاحب ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن

=

في غريب الحديث: "قد عَرفْت – أيّدك اللّه وإيّانا بلُطفه وتوفيقه – : أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كان أفصح العرب لسانا وأوضَحَهُمْ بيانا. وأعذَبَهم نُطقا وأسَدَّهم لفظا. وأبيَنَهم لَهجَة وأقومَهم حُجة. وأعرَفَهُم بمواقع الخطاب وأهدَاهم إلى طُرق الصواب. تأييداً إلهِياً ولُطفا سماويا. وعنايَةً رَبَّانية ورعايَةً رُوحانية. فكان صلى اللّه عليه وسلم يُخَاطب العرب على اختلاف شُعُوبهم وقبائلهم وتَبَاين بُطونهم وأفخاذهم وفصائِلِهم كلاًّ منهم بما يفهمون ويُحادثُهم بما يعلمون. فكأنّ اللّه عزّ وجل قد أعْلَمه ما لم يكن يَعْلَمُه غيرُه من بني أبِيه وجمع فيه من المعارف ما تفرَّق و لم يوجد في قَاصِي العَرَب ودَانِيه.

وكان أصحابُه رضي اللّه عنهم ومن يَفِدُ عليه من الْعَرَب يعرفون أكثرَ ما يقوله وما جَهِلوه سألوه عنه فيوضحه لهم. واسْتمرَّ عصره صلى اللّه عليه وسلم إلى حين وفاته على هذا السَّنَن المستقيم .

وجاء العصر الثاني – وهو عصر الصحابة – جاريا على هذا النَّمط سالكا هذا المَنهج. فكان اللسان العربي عندهم صحيحا مَحْرُوسا لا يَتَدَاخَلُهُ الخَلل ولا يَتَطرَّقُ إليه الزَّلَل إلى أن فُتحت الأمصار وخالطَ العربُ غيرَ جنسهم من الروم والفرس والحبش والنَّبَط وغيرهم من أنواع الأمم الذين فتح اللّه على المسلمين بلادَهم وأفاَءَ عليهم أموالَهم ورقابَهُم فاختلطتِ الفرق وامتزجت الألسُن وتداخَلتِ اللغاتُ ونشأ بينهم الأولاد فتعلموا من اللسان العربي ما لا بدّ لهم في الخطاب منه وحفظوا من اللغة مَالاَ غِنًى لهم في المحاوَرَةِ عنه وتركوا ما عداه لعدم الحاجة إليه وأهمَلوه لقلّة الرَّغبة في الباعث عليه فصار بعد كونه من أهمّ المعارف؛ مُطّرَحاً مهجوراً. وبعد فَرْضِيَّتِهِ اللازمة؛ كأن لم يكن شيئا مذكورا.

وتمادتِ الأيامُ والحالة هذه على ما فيها من التَّماسُك والثَّبَات واسْتَمرَّت على سَنَنٍ من الاستقامة والصلاح إلى أن انقرض عصرُ الصحابة والشأنُ قريب والقائمُ بواجب هذا الأمر لقلّته غريب .

وجاء التابعون لهم بإحسان فسلكوا سبيلهم لكنهم قلُّوا في الإتقان عددا واقْتَفَوْا هديَهُمْ

=

عبد الكريم ابن الأثير الجزرى صاحب المثل السائر (ت٦٣٧هـ).

وإن كانوا مَدُّوا في البيان يَدَا فما انقضى زمانُهم على إحسانهم إلاّ واللسانُ العربيُّ قد استحال أعجميا أو كَاد فلا ترى المُسْتَقِلَّ به والمحافِظَ عليه إلاّ الآحاد.

هذا والعصرُ ذلك العصرُ القديم والعَهدُ ذلك العهدُ الكريم فجهِل الناس من هذا المُهِمّ ما كان يلزمُهم معرفَتُه وأخّروا منه ما كان يجب تَقْدِمَتُه واتخذوه وراءَهم ظِهْرِيًّا فصار نِسْياً منسياً والمشتغل به عندهم بعيدا قصيّاً فلما أعضَلَ الدَّاء وعزَّ الدَّواء ألهمَ اللّه عز وجل جماعة من أولِي المعارف والنُّهَى وذوي البصائر والحِجَى أن صرفوا إلى هذا الشأن طَرَفاً مِن عنَايتهم وجانبا من رِعايَتهم فشَرَّعوا فيه للناس مواردا ومهَّدوا فيه لهم معاَهدا حراسةً لهذا العلم الشريف من الضياَع وحفظا لهذا المهِم العزيز من الاختلال.

فقيل : إن أوّلَ من جَمعَ في هذا الفنّ شيئاَ وألَّف أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنّى التميمي، فجمع من ألفاظ غريب الحديث والأثر كتابا صغيرا ذا أوراق معدودات.

ولم تكن قِلَّتُهُ لجهله بغيره من غريب الحديث وإنما كان ذلك لأمرين : أحدهما : أن كل مُبْتَدِئ لشيء لم يُسْبَق إليه وَمُبْتَدِعٍ لأمر لم يُتَقَدَّم فيه عليه فإنه يكون قليلا ثم يكثر وصغيرا ثم يكبر .

والثاني : أنَّ الناسَ يومئذ كان فيهم بَقِيةٌ وعندهم معرفة فلم يكن الجهلُ قد عَمّ ولا الخطبُ قد طَمّ.

ثم جَمَع أبو الحسن النَّضْر بن شُميل المازنيّ بعده كتابا في غريب الحديث أكبر من كتاب أبي عُبيدة وشرح فيه، وبَسَطَ على صغر حجمه ولُطفه.

ثم جمع عبدُ الملك بن قُرَيب الأصمعيّ – وكان في عصر أبي عُبيدة وتأخر عنه – كتابا أحسن فيه الصُّنْعَ وأجاد ونيَّف على كتابه وزاد.

وكذلك محمد بن المُسْتَنير المعروف بِقُطْرُب.

وغيره من أئمة اللغة والفقه جمعوا أحاديث تَكَلموا على لغتها ومعناها في أوراق ذواتِ عِدد،

ولم يَكَدْ أحدُهم ينفردُ عن غيره بكبير حديث لم يذكره الآخر.

واستَمَرَّتْ الحال إلى زمن أبي عُبيد القاسم بن سلاّم وذلك بعد المائتين فجمع كتابه المشهور َفي غريب الحديث والآثار الذي صار – وإن كان أخيراً – أوّلا لما حواه من

الأحاديث والآثار الكثيرة والمعاني اللطيفة والفوائد الجمَّة فصار هو القدوةَ في هذا الشأن فإنه أفْنى فيه عمره وأطاب به ذكره، حتى لقد قال فيما يروى عنه : "إني جَمَعْتُ كتابي هذا في أربعين سنة وهو كان خُلاصة عمري".

ولقد صدق رحمه اللّه فإنه احتاج إلى تَتَبُّع أحاديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم على كَثْرتها وآثار الصحابة والتابعين على تَفَرُّقها وتعدُّدِها حتى جمع منها ما احتاج إلى بيانه بطرق أسانيدها وحفظ رُوَتها وهذا فن عزيز شريف لا يوفّقُ له إلا السعداء.

وظنَّ رحمه اللّه – على كَثرة تعبه وطول نَصَبه – أنه قد أتى على معظم غريب الحديث وأكثرِ الآثار وما علم أن الشّوْطَ بَطِين (أي بعيد) والمنهل مَعِين.

وبقي على ذلك كتابه في أيدي الناس يرجعون إليه ويعتمدون في غريب الحديث عليه إلى عصر أبي محمد عبد اللّه بن مسلم بن قتَيْبَة الدِّينوَرِي رحمه اللّه فصنف كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار حذا فيه حَذْوَ أبي عبيد و لم يُودعْه شيئا من الأحاديث المودعةِ في كتاب أبي عبيد إلا ما دَعَتْ إليه حاجةٌ من زيادة وبيان أو استدراك أو اعتراض فجاء كتابه مثل كتاب أبي عبيد أو أكبر منه .

وقال في مقدِّمة كتابه : "وقد كنتُ زمانا أرى أن كتاب أبي عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث وأن النظر فيه مُسْتَغْنٍ به. ثم تَعَقبتُ ذلك بالنظر والتفتيش والمذاكرة فوجدت ما ترك نَحْوا مما ذكر فتتبَّعْتُ ما أغفل وفَسرتُه على نَحْو مما فَسَّر وأرجو أن لا يكون بقي بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لأحدٍ فيه مقال".

وقد كان في زمانه الإمام إبراهيم بن إسحاق الحَرْبيّ رحمه اللّه وجمع كتابه المشهور في غريب الحديث وهو كتاب كبير ذو مجلدات عِدَّةٍ جم.

ثمَّ صَنّف الناس غيرُ من ذكَرنا في هذا الفنِّ تصانيف كثيرة منهم شَمِرُ بن حَمْدَوَيه وأبو العباس أحمد بن يحي اللغوي المعروف بثعلب.

وأبو العباس محمد بن يزيد الثُّمالي المعروف بالمبرَّد.

وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري .

وأحمد بن الحسن الكنْدي.

وأبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد صاحب ثعلب.

وغير هؤلاء من أئمة اللغة والنحو والفقه والحديث

و لم يَخْلُ زمانٌ وعصْرٌ ممن جمع في هذا الفن شيئا وانفرد فيه بتأليف واستبدَّ فيه بتصنيف.

واستمرَّتِ الحال إلى عهد الإمام أبي سليمان أحمد بن محمد بن أحمد الخطَابي الْبُسْتي رحمه اللّه وكان بعد الثلثمائة والستين وقبلها فألف كتابه المشهور في غريب الحديث سلك فيه نهج أبي عبيد وابن قُتَيْبة واقتفى هَدْيَهُما وقال في مقدمة كتابه – بعد أن ذكر كتابَيْهما وأَثْنى عليهما – : "وبقيت ْبعدهما صُبَابةٌ للقول فيها مُتَبَرَّض توليتُ جمعها وتفسيرها مُسْتَرْسلا بحسن هدايتهما وفضل إرشادهما بعد أن مضى عليّ زمان وأنا أحْسِب أنه لم يبقَ في هذا الباب لأحدٍ مُتكلَّم وأن الأوّلَ لم يترُكْ للآخر شيئا وأتّكلُ على قول ابن قُتَيْبَةَ في خطْبَةِ كتابه : إنه لم يبقَ لأحد في غريب الحديث مقال".

وقال الخَطابي أيضا بعد أن ذكر جماعة من مُصَنفي الغريب وأثْنى عليهم : "إلا أن هذه الكُتُبَ على كثرة عَدَدِها إذا حَصَلت كان مآلُها كالكتاب الواحد. إذ كانَ مصنفوها إنما سبيلهم فيها أن يتوالوْا على الحديث الواحد فَيَعْتَورِوه فيما بينهم ثم يَتَبَارَوْا في تفسيره ويدخل بعضهم على بعض و لم يكن من شرط المسبوق أن يُفَرِّج للسابق عما أحْرَزَه وأن يقْتَضِب الكلام في شيء لم يُفَسَّرْ قبله على شاكلة ابن قُتَيْبَة وصنيعه في كتابه الذي عَقَّبه كتاب أبي عبيد ثم إنه ليس لواحد من هذه الكتب التي ذكرناها أن يكون شيئا منها على مِنْهاج كتاب أبي عبيد في بيان اللفظ وصحة المعنى وجَوْدَة الاستنباط وكثرة الفقه ولا أن يكون من جنس كتاب ابن قتيبة في إشباع التفسير وإيراد الحُجة وذكر النظائر وتخليص المعاني وإنما هي أو عامَتُها إذا تقسمت وقعت بين مُقَصِّر لا يورد في كتابه إلا أطْرَافاً وسَواقطَ من الحديث ثم لا يوفِّيها حقها من إشباع التفسير وإيضاح المعنى وبين مُطِيل يسرُدُ الأحاديث المشهورة التي لا يكاد يُشْكل منها شيء ثم يتكلفُ تفسيرها ويُطْنبُ فيها. وفي الكتابين غنى ومَنْدُوحَةٌ عن كلِّ كتاب ذكرناه قبلُ إذ كانا قد أتَيَا على جماع ما تضمنتِ الأحاديث المودعة فيهما من تفسير وتأويل وزادا عليه فصارا أحق به وأملك له ولعل الشيءَ بعد الشيء منها قد يَفُوتُهَما.

قال الخطابي: وأما كتابنا هذا فإني ذكرت فيه ما لم يرد في كتابيهما فصرفْتُ إلى جمعه

عِنايتي و لم أزل أتتبع مظانّها وألتقط آحادها حتى اجتمع منها ما أحب اللّه أن يُوَفِّقَ لـــه واتسق الكتاب فصار كنحوٍ من كتاب أبي عبيد أو كتاب صاحبه.

قال : وبلغني أن أبا عبيد مكث في تصنيف كتابه أربعين سنة يسأل العلماء عما أودعه من تفسير الحديث والأثر والناس إذ ذاك متوافرون والروضة أُنُف والحوضُ ملآن. ثم قـــد غادر الكثيرَ منه لمن بعده. ثم سعى له أبو محمد سَعْيَ الجَواد فأسأر القَدر الذي جمعنـــاه في كتابنا وقد بقي من وراء ذلك أحاديث ذواتُ عددٍ لم أتيسر لتفسيرها تركتها ليفتحها اللّه على من يشاء من عباده ولكل وقت قوم ولكل نشئٍ علم. قال اللّه تعالى: ﴿وإنْ مِنْ شَيء إلاّ عِنْدَنَا خَزائِنُهُ وما نُنَزِّلُهُ إلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾".

قال ابن الأثير: لقد أحسنَ الخطابي رحمة اللّه عليه وأنصف عرفَ الحق فقاله وتحـــرَّى الصدق فنطق به فكانت هذه الكتب الثلاثة في غريب الحديث والأثر أمَّهاتِ الكتب وهي الدائرة في أيدي الناس والتي يُعَوِّلُ عليها علماء الأمصار إلا أنها وغيرها من الكتب المصنفة التي ذكرتاها أو لم نذكرها لم يكن فيها كتاب صنف مرتَّباً ومُقفًّى يرجع الإنسان عنـــد طلب الحديث إليه إلا كتاب الحربي وهو على طوله وعسر ترتيبه لا يوجد الحديث فيه إلا بعد تعبٍ وعناء ولاخفاء لما في ذلك من المشقة والنَّصَب مع كون الحديث المطلـــوب لا يُعرف في أيّ واحد من الكتب هو فيحتاج طالبُ غريب حديث إلى اعتبار جميع الكتب أو أكثرِها حتى يجد غرضه من بعضها.

فلما كان زمنُ أبي عبيد أحمد بن محمد الهَروي صاحب الإمام أبي منـــصور الأزْهَـــرِي اللغوي وكان في زمن الخطابي وبعده وفي طبقته صنَّف كتابه المشهور السائر في الجمع بين غريبي القرآن العزيز والحديث ورتبه مقفى على حروف المعجم على وضع لم يُـــسْبَقْ في غريب القرآن والحديث إليه. فاستخرَجَ الكلمات اللغويةَ الغريبة من أماكنها وأثبتـــها في حروفها وذكر معانيها إذ كان الغرضُ والمقصد من هذا التصنيف معرفةَ الكلمة الغريبة لغةً وإعراباً ومعنًى لا معرفةَ مُتُون الأحاديث والأحاديث والآثار وَطُرق أسانيدها وأسماء رُوَاتها فإن ذلك علم مستقبل بنفسه مشهور بين أهله.

ثم إنه جمع فيه من غريب الحديث ما في كتاب أبي عُبيد وابن قتيبةَ وغيرهما ممن تَقَدَّمـــه عصرهُ من مُصَنِّفي الغريب مع ما أضاف إليه مما تتبعه من كلمات لم تكن في واحد مـــن

الكتب المصنَّفة قَبله فجاء كتابهُ جامعا في الحُسن بين الإحاطة والوضع. فإذا أراد الإنسانُ كلمةً غريبةً وجَدَها في حرفها بغير تَعب إلا أنه جاء الحديث مُفَرَّقاً في حروف كلماته حيث كان هو المقصودَ والغرضَ فانتشر كتابهُ بهذا التسهيل والتيسير في البلاد والأمصار، وصار هو العمدة في غريب الحديث والآثار .

وما زال الناس بعده يَقْتَفُون هَدْيَه ويَتْبَعُون أَثَره ويَشكُرون له سَعَيه ويَسْتَدرِكُون ماَ فَاتَه من غريب الحديث والآثار ويجمعون فيه مجاميعَ.

والأيامُ تَنْقَضِي والأعمارُ تَفْنَى ولا تنقضى إلا عن تصنيفٍ في هذا الفن إلى عهد الإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخُوارَزمي رحمه اللَّه فصنف كتابه المشهور في غريب الحديث وسماه "الفائق".

ولقد صادف هذا الاسمُ مُسَمَّى وكشف من غريب الحديث كل مُعَمَّى ورتَّبه على وضعٍ اخْتارَه مُقَفَّى على حروف المعجم ولكن في العُثُور على طلب الحديث منه كُلْفَةً ومشقة وإن كانت دون غيره من مُتَقدم الكتب لأنه جَمعَ في التَقْفِيةِ بين إيراد الحديث مَسْرُوداً جميعه أوأكثره أو أقله ثم شَرَحَ ما فيه من غريب فيجيء شرحُ كل كلمة غريبة يشتمل عليها ذلك الحديث في حرف واحد من حروف المعجم فترِدُ الكلمة في غير حرفها وإذا تَطَلَّبها الإنسان تَعِب حتى يَجدها؛

فكان كتابُ الهروي أقرب مُتَنَاولا وأسهل مأخذاً وإن كانت كلماته متفرقة في حروفها وكان النفع به أتمَّ والفائدة منه أعمَّ.

فلما كان زمنُ الحافظ أبي موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني الأصفهاني وكان إماما في عصره حافظا متقنا تُشدُّ إليه الرحال وتُناط به من الطلبة الآمال قد صنف كتابا جمع فيه ما فات الهروي من غريب القرآن والحديث يُناسبهُ قَدْراً وفائدة ويُماَثلهِ حجمْاً وعائدة وسلك في وضعه مَسْلَكه وذهب فيه مَذهَبه ورتَّبَه كما رتّبَه ثم قال: "واعلم أنه سيبقى بعد كتابي أشياء لم تقع لي ولا وقفتُ عليها لأن كلام العرب لا ينحصر".

ولقد صدق رحمه اللَّه فإن الذي فَاتَه من الغريب كثيرٌ ومات سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.

وكان في زماننا أيضا معاصرُ أبي موسى الإمامُ أبو الفرج عبدُ الرحمن بن علي ابن

الجوْزِي البغدادي رحمه اللّه كان مُتَفنّناً في علومه مُتَنوِّعا في معارفه فاضلا لكنه كان يَغْلِبُ عليه الوعظ. وقد صَنَّفَ كتابا في غريب الحديث خاصَّة نَهَج فيه طريق الهَرَوي في كتابه وسلك فيه محَجَّته مجردا من غريب القرآن. وهذا لفظه في مقدمته بعد أن ذكر مُصَنَّفي الغريب، قال: "فَقَوِيت الظُّنون أنه لم يَبْقَ شيء وإذاً قد فاتَهُمْ أشْياء فرأيت أن أبذلَ الوُسع في جمع غريب حديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وأصحابه وتابعيهم وأرجو ألاّ يَشذَّ عني مهِمّ من ذلك وأن يُغْنِيَ كتابي عن جميع ما صُنّف في ذلك". هذا قوله.

ولقد تتبعت كتابه فرأيتُه مخْتَصراً من كتاب الهروي مُنْتَزَعا من أبوابه شيئاً فشيئاً ووَضعاً فوَضْعاً و لم يزد عليه إلا الكلمة الشّاذّةَ واللفظَة الفاذّة. ولقد قايَسْتُ مازاد في كتابه على ما أخَذَه من كتاب الهروي فلم يكن إلا جزءاً يسيرا من أجزاءٍ كثيرة.

وأما أبو موسى الأصفهاني رحمه اللّه فإنه لم يذكر قي كتابه مما ذكره الهروي إلا كلمة اضطر إلى ذكرها إما لخَلل فيها أو زيادة في شرحها أو وَجْهٍ آخرَ في معناه ومع ذلك فإن كتابَهُ يُضَاهي كتاب الهروي كما سبق لأن وضعَ كتابه استدراكُ ما فات الهَروي.

ولما وقفت على كتابه الذي جعله مُكمّلا لكتاب الهروي ومُتَمِمّا وهو في غاية من الحسن والكمال وكان الإنسان إذا أراد كلمة غريبة يَحْتَاجُ إلى أن يَتَطلّبها في أحد الكتابين فإن وجدها فيه وإلا طَلَبها من الكتاب الآخر وهما كتابان كبيران ذَوَا مجلدات عِدَّة ولا خفاء بما في ذلك من الكلفة فرأيتُ أن أجمع ما فيهما من غريب الحديث مُجرَّدا من غريب القرآن وأضِيف كل كلمة إلى أختها في بابها تسهيلا لكُلْفة الطلب وتمادت بي الأيام في ذلك أُقدِّم رجلا وأُؤخِّر أخرى إلى أن قَوِيت العزيمة وخلَصت النية وتحقّقت في إظهار ما في القوة إلى الفعل ويسَّر اللّه الأمر وسهَّله وسنّاه ووفق إليه فحينئذ أمْعَنْتُ النظر وأَنْعَمْتُ الفِكر في اعتبار الكتابين والجمع بين ألفاظهما وإضافة كل منهما إلى نظيره في بابه فَوَجَدْتُهما – على كثرة ما أُدع فيهما من غريب الحديث والأثر – قد فَاتَهُما الكثير الوافرُ فإني في بادِئ الأمر وأوَّل النظر مرّ بِذكري كلماتٌ غريبة من غرائب أحاديث الكتب الصّحاح كالبخاري ومسلم – وكفاك بهما شُهْرَةً في كتب الحديث – لم يَرِدْ شيء منهما في هذين الكتابين فحيث عرفتُ ذلك تنبهتُ لاعتبار غير هذين الكتابين من كتب الحديث المدَوَّنة المصنفة في أول الزمان وأوسطه وآخره. فتتبعتها واسْتَقْرَيْتُ ما

حَضَرَني منها واسْتَقْصَيْتُ مُطالَعتها من المَسَانيد والمجاميع وكتب السُّنَن والغرائبِ قديمها وحديثها وكتب اللغة على اختلافها فرأيتُ فيها من الكلمات الغريبة مما فات الكتابين كثيرا فَصَدَفْتُ حينئذ عن الاقتصار على الجمع بين كتابَيْهما وأضفت ما عَثَرتُ عليه ووَجدتُه من الغرائب إلى ما في كتابيهما في حروفها مع نظائرها وأمثالها.

وما أحْسَنَ ما قال الخطّابي وأبو موسى رحمة اللّه عليهما في مُقَدّمَتَيْ كتابَيْهما وأنا أقول أيضا مُقْتَدياً بهما : "كم يكونُ قد فَاتَني من الكلمات الغريبة التي تشتملُ عليها أحاديث رسول اللّه صلى اللّه عليه وأصحابِه وتابِعيهم رضي اللّه عنهم جَعَلَها اللّه سبحانه ذَخِيرة لغيري يُظْهِرُها على يده ليُذْكر بها .

ولقد صَدَق القائل الثَّاني : كم ترك الأوَّل للآخر".

وأنا أرغب إلى كرم اللّه تعالى أن يجعل سعيي فيه خالصا لوجهه الكريم وأن يتقبلَهُ ويجعله ذخيرةً لي عنده يَجْزِيني بها في الدار الآخرة فهو العالم بمُودَعَاتِ السَّرَائر وخَفيَّات الضَّمائر . وأن يَتَغَمَّدَني بفضله ورحمته ويَتَجاوز عنّي بسَعَة مغفرته . إنه سميع قريب . وعليه أتوكل وإليه أنيبُ"اهـ[1].

واستمداد هذا العلم :

في الأصل من كلام العرب ولسانها، مع مراعاة القواعد الشرعية في بيان المراد من الألفاظ الغريبة بحسب مواقعها من نصوص الشرع! فصار استمداد هذا العلم من عدة جهات:

- نصوص الشرع. إمّا باستقرائها ومعرفة ما جاء فيها بحيث يكشف المراد من اللفظ، أو بما جاء من تفسير مباشر من الرسول ﷺ أو من الصحابة أو راوي الحديث تحته.
- ما جرى عليه عرف الصحابة .
- ما جاء في لغة العرب.

---

(١) مقدّمة النهاية في غريب الحديث والأثر باختصار.

المقصد الثاني
مظاهر عناية المسلمين بهذا العلم

من أهم مظاهر العناية بهذا العلم وضع القواعد، والمصنفات فيه؛

ولعل من هذه القواعد المهمات التالية:

من المهمات التي يحتاجها المتفقه في حديث الرسول ﷺ في هذا الباب ما يلي:

١- اعتماد أهل المعرفة فيه، وترك الخوض فيه بالظن؛ فإنه [ليس بالهين، والخائض فيه حقيق بالتحري، جدير بالتوقي، وقد قال أحمد بن حنبل – رحمه الله ، وناهيك به – حيث سئل عن حرف من غريب الحديث: "سلوا أصحاب الغريب فإني أكره أن أتكلم في قول رسول الله ﷺ بالظن فأخطي.

و لا تقلد غير أهل الفن وأجلائه إن كانوا، وإلا كتبهم؛ لأن من لم يكن من أهله أخطأ في تصرفه، وإذا كان مثل الأصمعي – وهو من علمت جلالته يقول: "أنا لا أفسر حديث رسول الله ﷺ، ولكن العرب تزعم أن (السقب) : اللزيق"، فكيف بغيره ممن لا يُعرف بالفن؟! أم كيف بما يرى من ذلك بهوامش الكتب مما يجهل كاتبه؟!][1] ؛ وما كان كذلك فإنه حقيق أن لا يعتمد إلا بعد التثبت فيه.

٢- ومن أولى ما فسر به غريب لفظ الحديث ما جاء في الحديث نفسه ورواياته، واعتماد ذلك هو الأصل .

قال السخاوي (ت٩٠٢هـ) رحمه الله: "وخير ما فسرته (أي: الغريب) بالمعنى الوارد في بعض الروايات مفسراً لذلك اللفظ"اهـ[2].

بل قال : "إن من الغريب ما لا يُعرف تفسيره إلا من الحديث"اهـ[3].

ومن تفسير الغريب بما جاء في روايات الحديث نفسه ما جاء :

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْكَعْبِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١) من كلام السخاوي في فتح المغيث (٤/٣٠-٣١).
(٢) فتح المغيث (٤/٣١)، وانظر تدريب الراوي (٢/١٨٦).
(٣) فتح المغيث (٤/٣٥).

وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ"(١).

وقوله : "يحرجه" جاء تفسيره في رواية الحديث عند مسلم، ولفظه:

عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَجَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ وَلَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَ أَخِيهِ حَتَّى يُؤْثِمَهُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يُؤْثِمُهُ؟ قَالَ: يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلَا شَيْءَ لَهُ يَقْرِيهِ بِهِ"(٢).

و أنكر الخطابي (ت٣٨٨هـ) رحمه الله هذه الرواية المفسرة، ورأى أنها غلط، حيث قال بعد روايته لهذا الحديث: "وأنا أنكر هذا التفسير، وأراه غلطاً، كيف يأثم في ذلك، وهو لا يتسع لقراه، ولا يجد سبيلاً إليه، وإنما الكلفة على قدر الطاقة، قال الله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (الطلاق: من الآية٧)؟

ووجه الحديث: أنه إنما كره له المقام عنده بعد الثلاث لئلا يضيق صدره بمقامه، فتكون الصدقة منه على وجه المن والأذى، فيبطل أجره، قال الله تعالى: ﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ (البقرة: من الآية٢٦٤)."اهـ(٣).

قلت: ووجه كلام الخطابي رحمه الله هو :

- أن مخرج الروايتين واحد، مما يؤيد أن إحدى الروايتين هي من تصرف الرواة.

- وأن إحداها أخرجها البخاري دون الأخرى، ففي إحداهما جاءت بلفظ: "حتى يحرجه" وهذا اللفظ الذي أخرجه البخاري، وفي الأخرى : "حَتَّى يُؤْثِمَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يُؤْثِمُهُ؟ قَالَ: يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلَا شَيْءَ لَهُ يَقْرِيهِ بِهِ" وهذا اللفظ أخرجه مسلم في صحيحه.

- أن في لفظ الرواية التي عند مسلم إيهام أن سبب الإثم إقامة الضيف فوق ثلاثة أيام، وليس عند المضيف ما يقريه به، فجعل الإثم بسبب عدم وجود ما يقريه به، وهذا يتنافى مع الأصل في أن لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، حديث رقم (٦١٣٥).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها، حديث رقم (٤٨).
(٣) غريب الحديث للخطابي (٣٥٣/١).

من أجل هذا رأى خطا الرواية التي فيها تفسير الإثم بـــ "يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلَا شَيْءَ لَهُ يَقْرِيهِ بِهِ".

ويتعقب هذا بالأمور التالية:

– أن توهيم الثقة خلاف الأصل؛ إذ الأصل عدم توهيم الثقة.

– أن الروايتين يمكن الجمع بينهما، بأن يقال: لا يأثم المضيف من جهة عدم وجدانه ما يقري به ضيفه، إنما يأثم من جهة ما قد ينتج من ضيقه وحرجه بسبب ذلك، مما قد يحصل معه ما يأثم به في قول أو فعل؛ فليس المراد أنه يأثم بترك قراه مع عجزه عنه، والله اعلم.

والأصل أن الجمع مقدم على الترجيح، لأنه يحصل به العمل بجموع الروايات، ولأننا نسلم به من توهيم الثقات.

قال ابن رجب (ت٧٩٥هـ) رحمه الله متعقباً قول الخطابي المذكور: "وهذا الذي قاله فيه نظر؛ فإنه قد صح تفسيره في الحديث بما أنكره. وإنما وجهه أنه إذا أقام عنده و لا شيء له يقريه به، فربما دعاه ضيق صدره به وحرجه إلى ما يأثم به في قول أو فعل وليس المراد أنه يلثم بترك قراه مع عجزه عنه، والله اعلم"اهـ[١].

٣– تفسير الراوي للحديث للغريب الذي فيه مما يعتمد[٢] .

قال ابن حجر (ت٨٥٢هـ) رحمه الله: "راوي الحديث أعرف بالمراد به من غيره، و لا سيما الصحابي المجتهد"اهـ[٣].

قال السخاوي (٩٠٢هـ) رحمه الله: "مما ينبغي أن يعتمد في الغريب تفسير الراوي، و لا يتخرج على الخلاف في تفسير اللفظ بأحد محتمليه؛ لأن هذا إخبار عن مدلول اللغة، وهو من أهل اللسان، وخطاب الشارع يحمل على اللغة ما أمكن موافقته لها"اهـ[٤].

قلت : الراوي أدري بمرويه، وهو حينما يفسر اللفظ إنما يبين المراد منه، فكلامه في تفسير مرويه معتمد، فالقضية في تفسيره ليست فقط لكونه من أهل اللسان؛ نعم خطاب

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/٣٦٠).

(٢) ولو ينهد أحد إلى جمع الألفاظ التي جاء تفسيرها في الحديث أو من راويها، مع مقدمة يبسط فيها الكلام عن حجية تفسير الراوي لمرويه وفوائده وأحواله، فإن هذا مما يفيد، ويحسن التصنيف فيه، والله الموفق.

(٣) فتح الباري (١/٤٤٥).

(٤) فتح المغيث (٤/٣٥).)

الشارع يحمل على اللغة ما أمكن موافقته لها!

فإن قيل: أليس العبرة بما رواه الراوي لا بما رآه؟

فالجواب: بلى، وهذا محله إذا خالف كلامه مخالفة تضاد لمرويه[١]، أما إذا جاء كلامه مفسراً فإن كلامه في تفسير مرويه مقدم على كلام غيره.

عن عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قَالَ: "نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ لِبْسَتَيْنِ وَعَنْ بَيْعَتَيْنِ نَهَى عَنْ الْمُلَامَسَةِ وَالْمُنَابَذَةِ فِي الْبَيْعِ.

وَالْمُلَامَسَةُ : لَمْسُ الرَّجُلِ ثَوْبَ الْآخَرِ بِيَدِهِ بِاللَّيْلِ أَوْ بِالنَّهَارِ وَلَا يُقَلِّبُهُ إِلَّا بِذَلِكَ.

وَالْمُنَابَذَةُ أَنْ يَنْبِذَ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ بِثَوْبِهِ وَيَنْبِذَ الْآخَرُ ثَوْبَهُ وَيَكُونَ ذَلِكَ بَيْعَهُمَا عَنْ غَيْرِ نَظَرٍ وَلَا تَرَاضٍ.

وَاللِّبْسَتَيْنِ : اشْتِمَالُ الصَّمَّاءِ : وَالصَّمَّاءُ أَنْ يَجْعَلَ ثَوْبَهُ عَلَى أَحَدِ عَاتِقَيْهِ فَيَبْدُو أَحَدُ شِقَّيْهِ لَيْسَ عَلَيْهِ ثَوْبٌ .

وَاللِّبْسَةُ الْأُخْرَى: احْتِبَاؤُهُ بِثَوْبِهِ وَهُوَ جَالِسٌ لَيْسَ عَلَى فَرْجِهِ مِنْهُ شَيْءٌ"[٢].

هذا الحديث جاء فيه تفسير ألفاظه، والظاهر أنه مرفوع، وعلى تقدير أن يكون موقوفاً فهو حجة؛ لأنه من تفسير الراوي والراوي أدرى بمرويه.

وقد جاء هذا الحديث في رواية مختصراً[٣]، ذكر فيه النهي عن اشتمال الصماء، دون تفسير، فقال ابن حجر (ت٨٥٢هـ) رحمه الله: " قَوْله : (عَنْ اِشْتِمَال الصَّمَّاء) وَبِالصَّادِ الْمُهْمَلَة وَالْمَدّ ، قَالَ أَهْل اللُّغَة : هُوَ أَنْ يُخَلِّل جَسَده بِالثَّوْبِ لَا يَرْفَع مِنْهُ جَانِبًا وَلَا يُبْقِي مَا يُخْرِج مِنْهُ يَده .

قَالَ اِبْن قُتَيْبَة : سُمِّيَتْ صَمَّاء؛ لِأَنَّهُ يَسُدّ الْمَنَافِذ كُلّهَا فَتَصِير كَالصَّخْرَةِ الصَّمَّاء الَّتِي لَيْسَ فِيهَا خَرْق.

وَقَالَ الْفُقَهَاء : هُوَ أَنْ يَلْتَحِف بِالثَّوْبِ ثُمَّ يَرْفَعهُ مِنْ أَحَد جَانِبَيْهِ فَيَضَعهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ

---

(١) وقد عد العلماء مما يعلل به الحديث مخالفة فتوى راويه له، وهذا عند أهل الحديث علة تبعية غير مستقلة، وتفيد إعلال رواية الحديث من طريق هذا الراوي، لا إعلال أصل الحديث، وهذا خلافاً للفقهاء في تعليلهم بذلك. انظر: تعليل حديث الراوي إذا جاء عنه ما يخالفه / مجلة جامعة أم القرى/ الشريعة والدراسات الإسلامية/ العدد ١٦/ ١٤١٨هـ.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب اشتمال الصماء، حديث رقم (٥٨٢٠).

(٣) عند البخاري في كتاب الصلاة باب ما يستر العورة، حديث رقم (٣٦٧).

فَيَصِير فَرْجه بَادِيًا.

قَالَ النَّوَوِيّ فَعَلَى تَفْسِير أَهْل اللُّغَة يَكُون مَكْرُوهًا لِئَلَّا يَعْرِض لَهُ حَاجَة فَيَتَعَسَّر عَلَيْهِ إِخْرَاج يَده فَيَلْحَقهُ الضَّرَر، وَعَلَى تَفْسِير الْفُقَهَاء يَحْرُم لِأَجْلِ اِنْكِشَاف الْعَوْرَة.

قُلْت (ابن حجر): ظَاهِر سِيَاق الْمُصَنِّف مِنْ رِوَايَة يُونُس فِي اللِّبَاس[1] أَنَّ التَّفْسِير الْمَذْكُور فِيهَا مَرْفُوع ، وَهُوَ مُوَافِق لِمَا قَالَ الْفُقَهَاء . وَلَفْظه : "وَالصَّمَّاء أَنْ يَجْعَل ثَوْبه عَلَى أَحَد عَاتِقَيْهِ فَيَبْدُو أَحَد شِقَّيْهِ". وَعَلَى تَقْدِير أَنْ يَكُون مَوْقُوفًا فَهُوَ حُجَّة عَلَى الصَّحِيح ؛ لِأَنَّهُ تَفْسِير مِنْ الرَّاوِي لَا يُخَالِف ظَاهِر الْخَبَر "اهـ[2].

٤- الانتباه إلى الفرق بين تفسير اللفظ والمعنى المراد.

إن بيان معنى اللفظ يراد به بيانه بحسب اللغة، وذلك بالرجوع إلى كتب اللغة، أو كتب غريب الحديث. أمّا المراد من اللفظ فهو ما يظهر أنه المقصود من اللفظ بحسب السياق، وذلك يعرف بالرجوع إلى كتب شروح الحديث. و لا يلزم أن يكون المعنى اللغوي هو المعنى المراد من اللفظ الوارد في الحديث.

خذ مثلاً كلمة (الصلاة) معناها في اللغة الدعاء، وفي الشرع لها معنى خاص، ويعتمد الشراح في بيان المراد من اللفظ على تطبيق ما تراه في طرق شرح الحديث.

قال أبو قلابة عبد الملك بن محمد : قلت للأصمعي: يا أبا سعيد، ما معنى قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "الجار أحق بسَقبَه"[3]. فقال: أنا لا أفسر حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -ولكن العرب تزعم أن السقب اللزيق"اهـ[4].

٥- مما ينبغي مراعاته عند تفسير الألفاظ الواردة في القرآن الكريم والحديث النبوي، مراعاة قاعدة الحقيقة الشرعية في تفسير النص، وخلاصتها : أن اللفظ الوارد في الآية أو الحديث ينظر هل له معنى خاص في الشرع، فإن وجد فسر به، فإن لم يوجد نظر في عرف الصحابة هل له عندهم معنى خاص، فإن وجد فسر به، فإن لم يوجد فسر بحسب اللغة ، لأنها اللغة التي جاء فيها الشرع.

---

(١) وهي الرواية التي سقتها هنا.

(٢) فتح الباري (١/٤٧٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الشفعة، باب عرض الشفعة على صاحبها قبل البيع، حديث رقم (٢٢٥٨).

(٤) معرفة أنواع علم الحديث (مقدمة ابن الصلاح) ص٢٧٣.

قال أبو إسحاق الشيرازي (٤٧٦هـ) رحمه الله: "إذا ورد لفظ قد وضع في اللغة لمعنى، وفي العرف لمعنى، حُمل على ما ثبت له في العرف، لأنه طارئ على اللغة، فكان الحكم له.

وإن كان قد وضع في اللغة لمعنى وفي الشرع لمعنى، حمل على عرف الشرع، لأنه طارئ على اللغة، ولأن القصد بيان حكم الشرع، فالحمل عليه أولى"اهـ[١].

وهذه قاعدة عامة لا تختص بأصول الفقه[٢]، وأهل الحديث يراعونها فإنهم يسعون إلى طلب المراد الشرعي للفظ بجمع الروايات، فإن لم يتيسر نظروا في الآثار الواردة عن الصحابة، كما تراه جلياً في تصانيفهم، وخاصة الأجزاء المفردة في موضوع واحد، فإنهم يجمعون فيه كل ما يجدونه من الأحاديث والآثار، ومن مقاصدهم في ذلك – والله اعلم – بيان المراد الشرعي من اللفظ إما بحسب ما قد يكون في الروايات مت تفسير له، أو بحسب ما يكون في كلام الصحابة من بيان له، وتلمس هذا أيضاً في تراجم البخاري كثيراً، والله الموفق.

ومن الأمثلة ما جاء عن أبي عبيد في تفسير قوله ﷺ: "إذا أصاب ثوب إحداكن الدم من الحيضة، فلتقرصه، ثم لتنضحه بالماء ثم لتصل فيه"

قال أبوعبيد: ""فلتقرصه" يقول: فلتقطعه بالماء، وكل مقطع فهو مقرص، يقال منه: المرأة قرصت العجين: إذا قطعته.

فتعقبه ابن عبدالبر بقوله: "قول أبي عبيد – عندي – في هذا بعيد، وخير منه، قول الأخفش: سئل عن هذه الكلمة فأراهم كيف ذلك القرص، فضم أصبعيه الإبهام والسبابة، وأخذ بهما شيئاً من ثوبه، فقال: هكذا يفعل بالماء في موضع الدم، ثم كما يقرص الرجل جاريته، هو كذلك القرص، وأما القرس بالسين، فهو قرس البرد.

قال أبو عمر: هؤلاء إنما فسروا اللفظة في اللغة، وأما المعنى المقصود إليه بهذا الحديث في الشريعة، فهو غسل دم الحيض من الثوب إذا أصابه، والخبر بأنه يجب غسله لنجاسته"اهـ[٣].

---

(١) اللمع في أصول الفقه ص٤٣-٤٤.
(٢) انظر مقدمة كتاب (الحقيقة الشرعية في تفسير ألفاظ القرآن العظيم والسنة النبوية) طبع دار الهجرة.
(٣) فتح المالك بترتيب التمهيد على موطأ الإمام مالك (٤٩٨/١).

وعدم مراعاة هذه القاعدة والهجوم على تفسير اللفظ بحسب ما يسوغ لغة من أسباب وقوع الخطأ في الاستدلال.

وقد يكون المعنى باطلاً فيقع الخطأ في الدليل وفي المدلول، وقد يكون المعنى صحيحاً فيقع الخطأ في الدليل لا في المدلول.

وعلى من يتفقه في الحديث أن لا يهجم على المراد من الحديث بمجرد تفسير الغريب من جهة اللغة، فإنه ليس كل ما ساغ لغة ساغ أن يكون تفسيراً للحديث.

[فإن العلم إما نقل مصدق، أو نظر محقق.

وتفسير اللفظ النبوي من جهة اللغة يحتاج إلى نقل صحيح، يثبت فيه أن هذا من معاني اللفظ لغة، وإلى استدلال صحيح يثبت به أن هذا هو المراد من الحديث، وإلا فسر اللفظ بما هو المراد منه.

وهذا الباب أكثر ما فيه الخطأ من جهتين:

إحداهما: قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن والحديث عليها.

و الثانية : قوم فسروا القرآن و الحديث بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به، وما أوتيه من السنة[1] .

فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن و السنة من الدلالة والبيان. ثم هؤلاء كثيرا ما يغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به السنة كما يغلط في ذلك الآخرون.

و الآخرون راعوا مجرد اللفظ وما يجوز عندهم أن يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به ولسياق الكلام. ثم هؤلاء كثيرا ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة، كما يغلط في ذلك الذين قبلهم.

وان كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق.

والأولون صنفان:

تارة يسلبون لفظ القرآن والسنة ما دل عليه وأريد به.

وتارة يحملونه على ما لم يدل عليه و لم يرد به.

وفى كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى باطلا فيكون خطؤهم في الدليل

---

(١) انظر ما سبق في أصول الفهوم: الأصل السادس : يُفهم القرآن العظيم والسنة النبوية على ضوء فهم الصحابة رضوان الله عليهم. الأصل السابع : يُفهم حديث رسول الله على ما هو أهدى واتقى. الأصل الثامن : تفهم نصوص الشرع على الظاهر، مقيداً بفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين. الأصل التاسع : أقوال العلماء تابعة لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس لأحد أن يحمل كلام الرسول صلى الله عليه وسلم على غير المراد. الأصل العاشر : إذا عُرِف المراد من اللفظ اتبع، ولا يجمد على مجرد الظاهر. الأصل الحادي عشر : موارد الغلط في معرفة المراد.

والمدلول.

وقد يكون حقا فيكون خطؤهم في الدليل لا في المدلول.

وهذا كما أنه وقع في تفسير القرآن فإنه وقع أيضا في تفسير الحديث.

فالذين أخطئوا في الدليل والمدلول مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذهبا يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط الذين لا يجتمعون على ضلالة كسلف الأمة وأئمتها وعمدوا إلى القرآن والسنة فتأولوهما على آرائهم تارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها وتارة يتأولون ما يخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه. وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم.

ومن هؤلاء فرق الخوارج والروافض والجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة وغيرهم.

وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة وذلك من جهتين:

تارة من العلم بفساد قولهم .

وتارة من العلم بفساد ما فسروا به القرآن أو السنة؛

إما دليلا على قولهم.

أو جوابا على المعارض لهم .

و في الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك بل مبتدعا وان كان مجتهدا مغفورا له خطؤه.

ونحن نعلم أن القرآن قرأه الصحابة والتابعون وتابعوهم وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ فمن خالف قولهم وفسر القرآن أو السنة بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعا.

ومعلوم أن كل من خالف قولهم له شبهة يذكرها إما عقلية وإما سمعية.

و المقصود هنا التنبيه على مثار الاختلاف في التفسير وإن من أعظم أسبابه البدع الباطلة التي دعت أهلها إلى أن حرفوا الكلم عن مواضعه وفسروا كلام الله ورسوله ﷺ بغير ما أريد به وتأولوه على غير تأويله؛

فمن أصول العلم بذلك أن يعلم الإنسان القول الذي خالفوه وأنه الحق.

وأن يعرف أن تفسير السلف يخالف تفسيرهم.

وأن يعرف أن تفسيرهم محدث مبتدع.

ثم أن يعرف بالطرق المفصلة فساد تفسيرهم بما نصبه الله من الأدلة على بيان الحق.

وكذلك وقع من الذين صنفوا في شرح الحديث وتفسيره من المتأخرين من جنس ما وقع فيما صنفوه من شرح القرآن وتفسيره

وأما الذين يخطئون في الدليل لا في المدلول فمثل كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء وغيرهم يفسرون القرآن بمعان صحيحة لكن القرآن لا يدل عليها مثل كثير مما ذكره أبو عبدالرحمن السلمي في حقائق التفسير وان كان فيما ذكروه ما هو معان باطلة فإن ذلك يدخل في القسم الأول وهو الخطأ في الدليل والمدلول جميعا حيث يكون المعنى الذي قصدوه فاسدا.

ومما هو صحيح المعنى والاستدلال ما يقوله بعض الصوفية][1] في تفسير بعض الآيات والأحاديث مما يجعل بعضه من باب الاعتبار والقياس وهذه طريقة صحيحة علمية، كقولهم: لا ينال فهم معاني القرآن العظيم والسنة المطهرة إلا من طهر قلبه عن درن الشرك والمعصية، وشاغل الدنيا وشهواتها، كما في قوله تعالى: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة:٧٩)، وقول النبي ﷺ : "لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب"[2]فإذا كان ورقه لا يمسه إلا المطهرون، فمعانيه لا يهتدي بها إلا القلوب الطاهرة وإذا كان الملك لا يدخل بيتا فيه كلب فالمعاني التي تحبها الملائكة لا تدخل قلبا فيه أخلاق الكلاب المذمومة ولا تنزل الملائكة على هؤلاء[3].

٦- عند تفسير اللفظ يراعى تفسيره بأوضح منه، وهذا هو الأصل.

وقد يتغير العرف فيصير التفسير غريباً.

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ"[4].

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : وَالسَّامُ: الْمَوْتُ. وَالْحَبَّةُ السَّوْدَاءُ : الشُّونِيزُ.

---

(١) هذا التقرير الذي بين معقوفتين من كلام ابن تيمية في مقدمة في أصول التفسير ص٧١-٨٣، تصرفت فيه واختصرته، فقد ساقه في تفسير القرآن، وأشار إلى أنه يقع مثله في تفسير الحديث.

(٢) أخرج البخاري في كتاب المغازي باب شهود الملائكة بدراً،حديث رقم (٤٠٠٢)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم صورة الحيوان، حديث رقم (٢١٠٦)، ولفظ البخاري عن ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ" يُرِيدُ التَّمَاثِيلَ الَّتِي فِيهَا الْأَرْوَاحُ.
تنبيه : التمثال هو الصورة سواء كان له ظل أو لا ظل له.

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٥/٥٥١-٥٥٢). وانظر حول التفسير الإشاري في القرآن والسنة مجموع الفتاوى (١٣/٢٤٠-٢٤٣)، والموافقات (٣/٤٠٣-٤٠٦).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الحبة السوداء، حديث رقم (٥٦٨٨)، ومسلم في كتاب السلام، باب التداوي بالحبة السوداء، حديث رقم (٢٢١٥).

قال ابن حجر (ت٨٥٢هـ) رحمه الله: "تفسير الحبة السوداء بالشونيز لشهرة الشونيز عندهم إذ ذاك، وأمّا الآن فالأمر بالعكس. والحبة السوداء أشهر عند أهل هذا العصر من الشونيز بكثير"اهـ[١].

قلت: وكذا في عصرنا، بل الشونيز لا يكاد يعرف ما هو اليوم عند عامة الناس.

(١) فتح الباري (١٠/١٤٥).

أهم الكتب المصنفة في غريب الحديث:

الكتب المصنفة في غريب الحديث أخذت ثلاثة مناحي في التصنيف:

الأول : التصنيف في بيان غريب أحاديث معينة، باعتبار وصف لها.

الثاني : التصنيف في بيان غريب أحاديث باعتبار أحاديث كتب معينة.

الثالث : التصنيف في بيان غريب الحديث مطلقاً دون أي اعتبار.

فمن المصنفات في غريب أحاديث معينة، باعتبار وصف لها:

- "**منال الطالب في شرح طوال الغرائب**"(١)، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير (ت٦٠٦هـ) رحمه الله، وقد ألفه بعد تصنيفه لكتاب "النهاية في غريب الحديث والأثر"، وأورد فيه غريب ألفاظ الأحاديث الطويلة التي كثر في لفظها الغريب، واحتاجت إلى بيان.
- "شرح حديث أم زرع"(٢) للبعلي أبي عبدالله شمس الدين محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل الحنبلي البعلبكي الفقيه المحدث النحوي اللغوي (٧٠٩هـ).

ومن المصنفات في غريب الحديث باعتبار أحاديث كتب معينة:

- "**تفسير غريب ما في الصحيحين**"(٣)، لأبي عبدالله محمد الحميدي (ت٤٨٨هـ) رحمه الله.

- "**مشكلات موطأ مالك بن نس**"(٤)، لعبدالله بن السيد البطليوسي (ت٥٢١هـ) رحمه الله، وهذا الكتاب شامل لما إشكاله بسبب الغريب، ولغيره، ولكن مادة الغريب فيه كثيرة.

- "**مشارق الأنوار على صحاح الآثار**"(٥)، لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض

---

(١) مطبوع، بتحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي، ضمن مطبوعات مركز البحث العلمي ، بجامعة أم القرى.

(٢) مطبوع بتحقيق د. سليمان بن إبراهيم العايد، نشر مكتبة الطالب الجامعي ضمن دراسة بعنوان (البعلي اللغوي وكتاباه شرح حديث أم زرع، والمثلث ذو المعنى الواحد).

(٣) مطبوع، بتحقيق الدكتور شعبان محمد مرسي، منشورات مكتبة السنة بالقاهرة، لصاحبها شرف حجازي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

(٤) مطبوع، بتحقيق طه بن علي بن بو سريح التونسي، دار ابن حزم، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

(٥) مطبوع، طبع ونشر المكتبة العتيقة ، تونس، دار التراث، القاهرة، ضمن سلسلة من تراثنا الإسلامي.

اليحصبي السبتي المالكي (ت٥٤٤هـ)، في تفسير غريب موطأ مالك وصحيح البخاري ومسلم.

وختم كتابه بثلاثة أبواب:

أولها في الجمل التي وقع فيها التصحيف وطمس معناها التلفيف.

والباب الثاني: في تقويم ضبط جمل المتون والأسانيد وتصحيح إعرابها وتحقيق هجاء كتابها وشكل كلماتها وتبيين التقديم والتأخير اللاحق لها، ليستبين وجه صوابها، وينفتح للأفهام مغلق أبوابها.

والباب الثالث: في إلحاق ألفاظ سقطت من أحاديث هذه الأمهات، أو من بعض الروايات أو بترت اختصاراً أو اقتصاراً على التعريف بطريق الحديث لأهل العلم به، لا يفهم مراد الحديث إلا بإلحاقها، و لا يستقل الكلام إلا باستدراكها.

ومن المصنفات الجامعة في تفسير غريب الحديث :

- "**غريب الحديث**"[١]، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت٢٢٤هـ)، رحمه الله. وقد حمد له أهل الحديث فعله وأثنوا عليه.

- "**غريب الحديث**"[٢]، لابن قتيبة عبدالله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ) رحمه الله.

- "**غريب الحديث**"[٣]، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي (ت٣٨٨هـ) رحمه الله.

- "**المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث**"[٤]، لأبي موسى محمد بن أبي بكر بن أبي عيسى المديني الأصبهاني (ت٥٨١هـ) رحمه الله.

- "**الفائق في غريب الحديث**"[٥]، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٨٣هـ) رحمه الله.

---

(١) مطبوع، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

(٢) مطبوع، صنع فهارسه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

(٣) مطبوع، بتحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، ضمن مطبوعات مركز إحياء التراث، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ.

(٤) مطبوع، بتحقيق عبد الكريم العزباوي، ضمن مطبوعات مركز إحياء التراث، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

(٥) مطبوع ، بتحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبوالفضل إبراهيم، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.

- "**غريب الحديث**"[١]، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (ت٥٩٧هـ) رحمه الله.

- "**النهاية في غريب الحديث والأثر**"[٢]، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ) رحمه الله، وهو أوسع الكتب المصنفة في غريب الحديث.

ومن مظان تفسير غريب الحديث الرجوع إلى كتب شرح الحديث، فإن من مقاصدها تفسير الغريب من الألفاظ وبيان المراد، والله الموفق.

---

(١) مطبوع، وثق أصوله، وخرج حديثه، وعلق عليه، الدكتور عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ

(٢) مطبوع بتحقيق طاهر الزواوي ومحمود الطناحي، نشر المكتبة الإسلامية.

الخاتمة

هذه الدراسة تؤكد على أهمية الاهتمام بكتب غريب الحديث، وروافدها من كتب شروح الحديث، في طباعتها وقراءتها والعناية بها.

كما تؤكد على طالب العلم أهمية الاهتمام بهذا العلم.

قال ذكر **ابن عبد البر النمري –رحمه الله تعالى–**:

"طلب العلم درجات ومناقل ورتب، لا ينبغي تعديها، ومن تعدها جملة؛ فقد تعدى سبيل السلف –رحمهم الله– ومن تعدى سبيلهم عامدًا؛ ضل، ومن تعداه مُجتهدًا؛ زل.

فأول العلم: حفظ كتاب الله تعالى وتفهمه، وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه، ولا أقول: إن حفظه كله فرض، ولكن أقول: إن ذلك واجب لازم على من أحب أن يكون عالِمًا ليس من باب الفرض.

فمن حفظه قبل بلوغه ثُمَّ فرغ إلَى ما يستعين به على فهمه من لسان العرب؛ كان له عونًا كبيرًا على مراده منه، ومن سنن رسول الله ﷺ.

ثُمَّ ينظر فِي ناسخ القرآن ومنسوخه وأحكامه، ويقف على اختلاف العلماء واتفاقهم فِي ذلك، وهو أمر قريب على من قربه الله عليه.

ثُمَّ ينظر فِي السنن المأثورة الثابتة عن رسول الله ﷺ؛ فبها يصل الطالب إلَى مراد الله –جل وعز– فِي كتابه، وهي تفتح له أحكام القرآن فتحًا، وفِي سير رسول الله ﷺ تنبيه على كثير من الناسخ والمنسوخ فِي السنن، ومن طلب السنن فليكن معوله على حديث الأئمة الثقات الحفاظ الذين جعلهم الله خزائن لعلم دينه، وأمناء على سنن رسول الله ﷺ.

ومِمَّا يستعان به على فهم الحديث: ما ذكرناه من العون على كتاب الله، وهو العلم بلسان العرب، ومواقع كلامها، وسعة لغتها، واستعارتِها، ومَجازها، وعموم لفظ مُخاطبتها وخصوصه، وسائر مذاهبها؛ لِمن قدر فهو شيء لا يُستغنِي عنه."اهـ[1].

وختاماً :

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٦٦– ١٧٢) باختصار وتصرف يسير جدًّا.

عوّد نفسك أيها الطالب أن لا تهجم على تفسير الحديث بمجرد ما قرأته في كتب الغريب إلا بعد النظر في كتب الشروح، أو إدارة المعنى في الذهن مع استحضار النصوص في الباب الذي فيه الحديث الذي وردت فيه هذه اللفظة الغريبة، فإن هذا حري بإذن الله أن يوفقك الله عزوجل فيه إلى الصواب.

غفر الله لي ولك، وأيدني وإياك بتوفيقه، والرشد والهدى والسداد.

وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم!